فتوح الغيب

للقُطب الربانِي الشيخ مُحي الدِّين
عَبد القادِر الجيلانى

رَضى اللهُ عَنهُ آمين

الناشـر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف

☎ ٥١٢٠٨٤٧

رقم الإيداع ٨٦٦٦ / ١٩٩٦

الترقيم الدولى
I . S . B . N 977 – 1347 – 6

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ عبد الرزاق ولد المؤلف : قال والدى رضى الله تعالى عنه مؤيد الأئمة سيد الطوائف أبو محمد محي الدين عبد القادر الجيلانى الحسنى الحسينى الصديقى ، ابن أبى صالح موسى جنكى دوست ابن الإمام عبد الله ابن الإمام يحيى الزاهد ابن الإمام محمد ابن الإمام داود ابن الإمام موسى ابن الإمام عبد الله ابن الإمام موسى الجون ابن الإمام عبد الله المحض ابن الإمام الحسن المثنى ابن الإمام أمير المؤمنين سيدنا الحسن السبط ابن الإمام الهمام أسد الله الغالب ، فخر بنى غالب ، أمير المؤمنين سيدنا على ابن أبى طالب ، كرم الله وجهه ، ورضى عنه وعنهم أجمعين آمين :

الحمد لله رب العالمين أولاً وأخراً وظاهراً وباطناً عدد خلقه ومداد كلماته ، وزنة عرشه ، ورضا نفسه ، وعدد كل شفع ووتر ، ورطب ويابس فى كتاب مبين ، وجميع ما خلق ربنا وذرأ وبرأ ، خالق بلا مثال أبداً سرمدا طيبا مباركاً . الذى خلق فسوى ، وقدر فهدى . وأمات وأحيا ، وأضحك وأبكى ، وقرب وأدنى ، وأرحم وأخزى ، وأطعم وأسقى ، وأسعد وأشقى ، ومنع وأعطى . الذى بكلمته قامت السبع الشداد ، وبها رست الرواسى والأوتاد واستقرت الأرض المهاد ، فلا مقنوطاً من رحمته ولا مأموناً من مكره وغيرته ، وإنفاذ أقضيته وفعله وأمره ، ولا مستنكفا عن عبادته ،

ولا مخلوا من نعمته . فهو المحمود بما أعطى ، والمشكور بما زوى ، ثم الصلاة على نبيه المصطفى ﷺ ، الذى من اتبع ما جاء به اهتدى ومن صدف عنه ضل وارتدى ، النبى الصادق المصدوق الزاهد فى الدنيا ، الطالب الراغب فى الرفيق الأعلى ، المجتبى من خلقه ، المنتخب من بريته ، الذى جاء الحق بمحبته ، وزهق الباطل بظهوره ، وأشرقت الأرض بنوره .

ثم الصلوات الوافيات ، والبركات الطيبات ، الزاكيات المباركات عليه ثانياً وعلى آله الطيبين ، وأصحابه والتابعين ، لهم بإحسان ، الأحسنين لربهم فعلاً ، الأقومين لـه قبلاً . والأصوبين إليه طريقاً وسبيلاً ، ثم تضرعنا ودعاؤنا ورجوعنا إلى ربنا ، ومنشئنا وخالقنا ورازقنا ، ومطعمنا ومسقينا ونافعنا وحافظنا ، وكالئنا ومحيينا . والذاب والدافع عنا جميع ما يؤذينا ويسوءنا ، كل ذلك برحمته وتحننه وفضله ومنته بالحفظ الدائم فى الأقوال والأفعال فى السر والإعلان . والإظهار والكتمان والشدة والرخاء والنعمة والبأساء والضراء ، إنه فعال لما يريد ، الحاكم بما يشاء ، العالم بما يخفى ، المطلع على الشؤون والأحوال ، من الزلات والطاعات والقربات ، السامع للأصوات ، المجيب للدعوات ، لمن يشاء من غير تنازع ولا تردد .

أما بعد : فإن نعم الله علىّ كثيرة متواترة ، فى آناء الليل وأطراف النهار والساعات واللحظات الخطرات وجميع الحالات ، كما قال ﷻ **﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾** وقوله تعالى : **﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾** فلا يدان لى ولا جنان ولا لسان فى إحصائها وأعدادها ، فلا يدركها التعداد ولا تضبطها العقول

والأذهان ، ولا يحصيها الجنـــان ، ولا يعبرها اللسان ، فمن جملة ما مكن عن تعبيرها وإظهارها الكلام ، وكتبها البنـــان ، ويفســـره البيان ، وكلما برزت وظهرت لى من [**فتوح الغيب**] فحلت فـــى الجنان ، فأشعلت المكان فأنتجها وأبرزها صدق الحـــال ، فتـــولى إبرازها لطف المنان ، ورحمة الأنام فى قالب صـــواب المقـــال ، لمريدى الحق والطلاب .

*****

المقالة الأولى فيما لابد لكل مؤمن

قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه : لابد لكل مؤمن فى سائر أحواله من ثلاثة أشياء : أمر يمتثله ، ونهى يجتنبه ، وقدر يرضى به ، فأقل حالة المؤمن لا يخلو فيها من أحد هذه الأشياء الثلاثة ، فينبغى له أن يلزم همها قلبه : وليحدث بها نفسه ، ويؤاخذ الجوارح بها فى سائر أحواله .

المقالة الثانية فى التواصى بالخير

قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه : اتبعوا ولا تبتدعوا ، وأطيعوا ولا تمرقوا ، ووحدوا ولا تشركوا ، ونزهوا الحق ولا تتهموا ، وصدقوا ولا تشكوا ، واصبروا ولا تجزعوا ، واثبتوا ولا تنفروا ، واسألوا ولا تسأموا ، وانتظروا وترقبوا ولا تيأسوا ، وتواخوا ولا تعادوا ، واجتمعوا على الطاعة ولا تتفرقوا ، وتحابوا ولا تباغضوا ، وتطهروا عن الذنوب وبها لا تدنسوا ولا تتلطخوا وبطاعة ربكم فتزينوا ، وعن باب مولاكم فلا تبرحوا ، وعن الإقبال عليه فلا تتولوا ، وبالتوبة فلا تسوفوا ، وعن الاعتذار إلى خالقكم فى آناء الليل وأطراف النهار فلا تملوا ، فعلكم ترحمون وتسعدون ، وعن النار تبعدون ، وفى الجنة تحبرون ، وإلى الله توصلون ، وبالنعيم وافتضاض الأبكار فى دار السلام تشتغلون وعلى ذلك أبدا تخلدون وعلى النجائب تركبون ، وبحور العين

وأنواع الطيب وصوت القيان مع ذلك النعيم تحبرون ، ومع الأنبياء والصديقين والشهداء الصالحين ترفعون .

المقالة الثالثة فى الإبتلاء

قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه : إذا ابتلى العبد ببلية تحرك أولاً فى نفسه بنفسه ، فإن لم يتخلص منها استعان من الخلق كالسلاطين وأرباب المناصب وأرباب الدنيا وأصحاب الأحوال وأهل الطب فى الأمراض والأوجاع ، فإن لم يجد فى ذلك خلاصاً رجع إلى ربه بالدعاء والتضرع والثناء ، مادام يجد بنفسه نصرة لم يرجع إلى الخلق ، ومادام يجد به عند الحق نصرة لم يرجع إلى الخالق ، ثم إذا لم يجد عند الخالق نصرة استطرح بين يديه مديماً للسؤال والدعاء والتضرع والثناء والافتقار مع الخوف والرجاء ، ثم يعجز الخالق ﷻ عن الدعاء ولم يجيبه حتى ينقطع عن جميع الأسباب ، فحينئذ ينفذ فيه القدر ويفعل فيه الفعل ، فيفنى العبد عن جميع الأسباب والحركات ، فيبقى روحاً فقط ، فلا يرى إلا فعل الحق فيصير موقناً موحداً ضرورة يقطع أن لا فاعل فى الحقيقة إلا الله لا محرك ولا مسكن إلا الله ولا خير ولا شر ولا ضر ولا نفع ولا عطاء ولا منع ولا فتح ، ولا غلق ، ولا موت ولا حياة ، ولا عز ولا ذل إلا بيد الله فيصير فى القدر كالطفل الرضيع فى يد الظئر والميت الغسيل فى يد الغاسل والكرة فى صولجان الفارس يقلب ويغير ويبدل ، ويكون ولا حراك به فى نفسه ولا فى غيره فهو غائب عن نفسه فى فعل مولاه ، فلا يرى

غير مولاه وفعله ، ولا يسمع ولا يعقل من غيره إن بصر وإن سمع ، وعلم ، فلكلامه سمع ، ولعلمه علم ، وبنعمته تنعم ، وبقربه تسعد ، وبتقريبه تزين وتشرف ، وبوعده طاب وسكن ، وبه اطمأن ، وبحديثه أنس ، وعن غيره استوحش ونفر ، وإلى ذكره التجأ وركن ، وبه عز وجل وثق وعليه توكل ، وبنور معرفته اهتدى وتقمص وتسربل ، وعلى غرائب علومه اطلع ، وعلى أسرار قدرته أشرف ، ومنه سمع ووعى ، ثم على ذلك حمد وأثنى وشكر ودعا .

المقالة الرابعة فى الموت المعنوى

قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه : إذا مت عن الخلق قيل لك رحمك الله وأماتك عن الهوى ، وإذا مت عن هواك قيل لك رحمك الله وأماتك عن إرادتك ومناك ، وإذا مت عن الإرادة قيل لك رحمك الله وأحياك حياة لا موت بعدها ، وتغنى غنى لا فقر بعده ، وتعطى عطاء لا منع بعده ، وتراح براحة لا شقاء بعدها ، وتنعم بنعمة لا بؤس بعدها ، وتعلم علماً لا جهل بعده ، وتؤمن أمناً لا خوف بعده ، وتسعد فلا تشقى ، وتعز فلا تذل ، وتقرب فلا تبعد ، وترفع فلا توضع ، وتعظم فلا تحقر ، وتطهر فلا تدنس ، لتحقق فيك الأمانى ، وتصدق فيك الأقاويل ، فتكون كبريتاً أحمر فلا تكاد ترى ، وعزيزاً فلا تماثل ، وفريداً فلا تشارك ، وحيداً فلا تجانس ، فرداً بفرد ووتراً بوتر ، وغيب الغيب وسر السر ، فحينئذ تكون وارث كل نبى وصديق ورسول بك تختم الولاية .

وإليك تصور الأبدال وبك تنكشف الكروب ، وبك تسقى الغيــوث ، وبك تنبت الزروع ، وبك يدفع البلاء والمحن عن الخاص والعــام وأهــل الثغور والراعى بها والرعايا ، والأئمــة والأمــة وســائر البلايا ، فتكون شحنة البــلاد والعــباد ، فتنطلــق إليــك الرجــل بالسعى ، والوجال والأيدى بالذل والعطاء والخدمــة بــإذن خــالق الأشــياء فى سائر الأحوال ، والألسن بالذكــر الطيــب والحمــد والثناء وجميع المجال ، ولا يختلف فيك إثنان من أهــل الإيمــان ، يا خير من ســكن البرارى وجال بها (**ذلك فضل الله يؤتيه مــن يشاء والله ذو الفضل العظيم**) .

المقالة الخامسة
فى بيان حال الدنيا والحث على عدم الالتفات إليها

قال رضى الله عنه وأرضاه : إذا رأيت الدنيا فى يدى أربابهــا بزينتها وأباطيلها وخدعها ومصائدها وسمومها القتالة ، مع لين مس ظاهرها ، وضراوة باطنها وسرعة إهلاكها ، وقتلها لمــن مســها واغتر بها وغفل عــن وليها وغــيرها بأهلها ونقض عهدها ، فكن كمن رأى إنساناً على الغائط بالبراز بادية ســوأته وفائحة رائحته ، فإنك تغض بصرك عن سوأته ، وتســد أنفــك من رائحته ونتنه ، فهكذا كــن فى الدنيا . إذا رأيتها غض بصرك عن زينتها . وســد أنفك عما يفــوح من روائحها وشهواتها ولــذاتها ، فتنــجو منهــا ومن آفاتها ويصل إليــك قسمك منها وأنت مهنأ ، قــال الله تعالى لنبــيه المصطفى ﷺ : (**ولا تمــدن عينــيك إلى ما متعنــا بــه**

أزواحا منهم زهـرة الحيـاة الدنيـا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) .

المقالة السادسة فى الفناء عن الخلق

قال رضى الله تعالى وأرضاه : افن عن الخلق بإذن الله تعالى ، وعن هواك بأمر الله " فتوكلوا إن كنتم مؤمنين " وعن إرادتك بفعل الله تعالى ، وحينئذ تصلح أن تكون وعاء لعلم الله تعالى ، فعلامـة فنائك عن خلق الله تعالى انقطاعك عنهم وعن التردد إليهم واليـأس مما فى أيديهم ، وعلامة فنائك عن هواك ترك التكسـب والتعلـق بالسبب فى جلب النفع ودفع الضر فلا تحرك فيك ولا تتعمد عليـك لك ولا تذب عنك ولا تنفر نفسك ، تكل ذلك كله إلى الله تعالى لأنه تولاه أولاً فيتولاه آخراً ، كما كان ذلك موكولاً إليه فى حال كونـك مغيباً فى الرحم ، وكونك رضيعاً طفلاً فى مهدك وعلامة فنائك عن إرادتك بفعل الله أنك لا تريد مراداً قط ، ولا يكون لـك غـرض ، ولا يبقى لك حاجة ولا مرام ، فإنك لا تريد مع إرادة الله سـواها ، بل يجرى فعل الله فيك ، فتكون أنت عند إرادة الله وفعلـه سـاكن الجوارح مطمئن الجنان منشرح الصدر منور الوجه عامر الـبطن غنياً عن الأشياء بخالقها ، تقلبك يد القدرة ، ويدعوك لسان الأزل ، ويعلمك رب الملل ، ويكسوك أنواراً منه والحلل ، وينزلك من أولى العلم الأول . فتكون منكسراً أبداً . فلا يثبـت فيـك شـهوة وإرادة كالإناء المنثلم الذى لا يثبت فيه مائع وكدر ، فتنقى عـن أخـلاق البشرية . فلن يقبل باطنك شيئاً غير إرادة الله ﷻ ، فحينئذ يضاف

إليك التكوين وحرق العادات ، فيرى ذلك منك فى ظـاهر الفعـل والحكم ، وهو فعل الله وإرادته حقاً فى العالم ، فتدخل فـى زمـرة المنكسرة قلوبهم الذين كسرت إرادتهم البشرية وأزيلت شـهواتهم الطبيعية فاستؤنفت لهم إرادة ربانية كما قال النبى ﷺ : (حُبب إلىّ من دنياكم ثلاث : الطيب ، والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة) فأضيف ذلك بعد أن خرج منه وزال عنه تحقيقـاً بمـا أشـرنا ، وتقدم . قال الله تعالى **﴿ أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى ﴾** فإن الله تعالى لا يكون عندك حتى تنكسر جملة هواك وإرادتك ، فـإذا انكسرت ولم يثبت فيك شئ ولم فيك شئ أنشـأك الله فجعـل فيـك إرادة ، فتزيد بتلك الإرادة ، فإذا صرت فى تلك الإرادة المنشأة فيك كسرها الرب تعالى بوجودك فيها ، فتكون منكسر القلب أبدا ، فهو لا يزال يجد فيك إرادة ثم يزيلها عنـد وجودك فيها هكذا إلـى أن يبلغ الكتاب أجله ، فيحصل اللقاء ، فهـذا هـو معنـى (**عنـد المنكسرة قلوبهم من أجلى**) ومعنى قولنـا عند وجودك فيها هـو ركونك وطمأنينتك إليها . قال الله تعـالى فى حديثه القدسى ، الذى يرويه ﷺ : (**لا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها**) وفى لفظ آخر : (**فبى يسمع ، وبى يبطش ، وبى يعقل**) وهذا إنما يكون فى حالة الفنـاء لا غير ، فإذا فنيت عنك وعن الخلق ، والخلق إنما هو خير وشر . وكذلك أنت خير وشر فلم ترج خيرهم ولا تخاف شـرهم بقـى الله وحده كما كان ، ففى قدر الله خير وشر ، فيؤمنـك مـن شـره ، ويغرقك فى بحار خيره ، فيكون وعاء كل خير ، ومنبعاً لكل نعمة

وسرور وحبور وضياء وأمن وسكون ، فالفناء والمنـــى والمبتغـــى والمنتهى حد ومرد ينتهى إليه مسير الأولياء ، وهو الاستقامة التى طلبها من تقدم من الأولياء والأبدال أن يفنوا عن إرادتهـــم وتبـــدل بإرادة الحق ﷻ ، فيريدون بإرادة الحق أبدا إلى الوفـــاء ، فلهـــذا سموا أبدالاً رضى الله عنهم ، فذنوب هؤلاء الســـادة أن يشـــركوا إرادة الحق بإرادتهم على وجه السهو والنســـيان وغلبـــــة الحـــال والدهشة ، فيدركهم الله تعالى برحمته بالتذكرة واليقظة ، فيرجعـــوا عن ذلك ويستغفروا ربهم ، إذ لا معصوم عن الإرادة إلا الملائكة ، عصموا عن الإرادة ، والأنبياء عصموا عن الهوى ، وبقية الخلـــق من الإنس والجن المكلفين لم يعصموا منها غير أن الأولياء بعضهم يحفظون عن الهوى ، والأبدال عن الإرادة ، ولا يعصمون منهمـــا على معنى يجوز فى حقهم الميل إليهما فى الأحيان ، ثم يتـــداركهم الله ﷻ باليقظة برحمته .

المقالة السابعة فى إذهاب غم القلب

قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه : اخرج من نفسك وتنح عنها وانعزل عن ملكك وسلم الكل إلى الله ، فكن بوابه على باب قلبك ، وامتثل أمره فى إدخال من يأمرك بإدخاله ، وانته بنهيه فى صد من يأمرك بصده ، فلا تدخل الهوى قلبك بعد أن خرج منه ، فـــإخراج الهوى من القلب بمخالفته ، وترك متابعته فـــى الأحـــوال كلهـــا ، وإدخاله فى القلب ، بمتابعته ومواقاته ، فلا ترد إرادة غير إرادتـــه وغير ذلك منك تمن وهو وادى الحمقاء ، وفيـــه حتفـــك وهلاكـــك

وسقوطك من عينه وحجابك عنه ، احفظ أبدا أمره ، وانته أبدا نهيه وسلم أبداً لمقدره ، ولا تشركه بشئ من خلقه ، فإرادتك وهواك وشهواتك كلها خلقه ، فلا ترد ولا تهو ولا تشته كيلا تكون مشركاً قال الله تعالى : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا** ﴾ ليس الشرك عبادة الأصنام فحسب ، بل هو متابعتك هواك ، وأن تختار مع ربك شيئاً سواه من الدنيا وما فيها ، والآخرة وما فيها فما سواه ﷻ غيره ، فإذا ركنت إلى غيره فقد أشركت به ﷻ غيره فاحذر ولا تركن ، وخف ولا تأمن وفتش ، فلا تغفل فتطمئن ، ولا تضف إلى نفسك حالاً ولا مقاماً ، ولا تدع شيئاً من ذلك ، فإن أعطيت حالاً أو أقمت فى مقام فلا تختر شيئاً واحداً من ذلك ، فإن الله كل يوم هو فى شأن ، فى تغيير وتبديل ، وأنه يحول بين المرء وقلبه ، فيزيلك عما أخبرت به ، ويغيرك عما تخيلت ثباته وبقاءه ، فتخجل عند من أخبرته بذلك ، بل احفظ ذلك فيك ولا تعده إلى غيرك فإنه كل الثبات والبقاء ، فتعلم أنه موهبة وتسأل التوفيق للشكر واستر رؤيته وإن كان غير ذلك كان فيه زيادة علم ومعرفة ونور وتيقظ وتأدب . قال الله ﷻ : ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير** ﴾ فلا تعجز الله فى قدرته ولا تتهمه فى تقديره ولا تدبيره ، ولا تشك فى وعده ، فليكن لك فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، نسخت الآيات والسور النازلة عليه المعمولة بها المقروءة فى المحاريب المكتوبة فى المصاحف ، ورفعت وبدلت وأثبت غيرها مكانها ، ونقل ﷺ إلى غيرها ، هذا فى ظاهر الشرع ، وأما فى الباطن والعلم والحال فيما بينه وبين الله ﷻ

فكان يقول : (إنه ليغان على قلبى فأستغفر الله كل يوم سبعين مرة) ويروى (مائة مرة) وكان ﷺ ينقل من حالة إلى أخرى ويسير به فى منازل القرب وميادين الغيب ، ويغير عليه خلع الأنوار ، فتبين الحالة الأولى عند ثانيها ظلمة ونقصاناً وتقصيراً فى حفظ الحدود ، فيلقن الاستغفار لأنه أحسن حال العبد ، والتوبة فى سائر الأحوال لأن فيها اعترافه بذنبه وقصوره ، وهما صفتا العبد فى سائر الأحوال ، فهما وراثة من أبى البشر آدم عليه السلام إلى المصطفى ﷺ حين اعتورت صفاء حالة ظلمة النسيان للعهد والميثاق ، وإرادة الخلود فى دار السلام ، ومجاورة الحبيب الرحمن المنان ، ودخول الملائكة الكرام عليه بالتحية والسلام ، فوجدت هناك نفسه مشاركة إرادته لإرادة الحق ، فانكسرت لذلك تلك الإرادة ، وزالت تلك الحلة ، وانعزلت تلك الولاية ، فانهبطت تلك المنزلة وأظلمت تلك الأنوار وتكدر ذلك الصفاء ، ثم تنبه وذكر صفى الرحمن ، فعرف الاعتراف بالذنب والنسيان ، ولقن الإقرار فقال : ﴿ **ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** ﴾ فجاءت أنوار الهداية وعلوم التوبة ومعارفها ، والمصالح المدفونة فيها ما كان غائباً من قبل ، فلم تظهر إلا بها ، فبدلت تلك الإرادة بغيرها والحالة الأولى بأخرى ، وجاءته الولاية الكبرى والسكون فى الدنيا ثم فى العقبى ، فصارت الدنيا له ولذريته منزلا ، والعقبى لهم موئلا ومرجعاً وخلداً ، فلك برسول الله وحبيبه المصطفى وأبيه آدم صفى الله عنصر الأحباب والأخلاء أسوة فى الاعتراف بالقصور والاستغفار فى الأحوال كلها .

* * * * *

المقالة الثامنة فى التقرب إلى الله

قـــال رضى الله تعالى عنه وأرضاه : إذا كنت فى حالة لا تختر غــيرها أعلى منها ، ولا أدنـــى ، فإذا كنت على بـــاب دار الملك لا تختر الدخول إلى الدار حتى تدخل إليهـــا جبـــراً لا اختيـــاراً ، وأعنى بالجبر أمراً عنيفاً متأكداً متكرراً ، ولا تكتف بمجـــرد الإذن فى الدخول ، لجواز أن يكون ذلك مكراً وخديعة من الملك ، ولكن اصبر حتى تجبر على الدخول فتدخل الدار جبراً محضاً وفضلاً من الملك ، فحينئذ لا يعاقبك الملك على فعله ، إنما تتعرض العقوبة لك لشؤم تخيرك وشرهك ، وقلة صبرك وسوء أدبك ، وترك الرضى بحالتك التى أقمت فيها ، فإذا حصلت فكن مطرقاً غاضاً لبصـــرك متأدباً ، محافظاً لما تؤمر به من الشغل والخدمة فيها غير طالـــب للترفى إلى الذروة العليا . قـــال الله ﷻ : ﴿ **ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتـــنهم فيـــه ورزق ربك خير وأبقى** ﴾ فهذا تأديب منه ﷻ لنبيه المختار ﷺ فى حفـــظ الحـــال والرضا بالعطاء بقولـــه ﴿ **ورزق ربك خير وأبقـــى** ﴾ أى ما أعطيتك من الخير والنبوة والعلم والقناعة والصبر وولاية الدين والغزوة فيه أولى مما أعطيت غيرك وأحرى ، فالخير كله فى حفظ الحال والرضا بها وترك الالتفات إلى ما سواها ، أو أنه لا يخلـــو إما أن يكون قسمك أو قسم غيرك ، أو أنه لا قسم لأحد بل أوجـــده الله فتنة ، فإن كان قسمك وصل إليك شئت أم أبيت فلا ينبغـــى أن يظهر منك سوء الأدب والشره فى طلبه ، فإن ذلك غير محمود فى

قضية العلم والعقل ، وإن كان قسم غيرك فلا تتعب فيما تناوله ولا يصل إليك أبداً ، وإن كان ليس بقسم لأحد بل هو فتنة فكيف يرضى العاقل ويستحسن أن يطلب لنفسه فتنة ويستجلبها لها ، فقد ثبت أن الخير كله والسلامة فى حفظ الحال فإذا رقيت إلى الغرفة ثم إلى السطح فكن كما ذكرنا من الحفظ والإطراق والأدب ، بل يتضاعف ذلك منك ، لأنك أقرب إلى ظلك وأدنى بالخطر ، فلا تتمن الانتقال منها إلى أعلى منها ولا إلى أدنى ، ولإثباتها وبقاءها ، ولا تغير وصفها وأنت فيها ، ويكون لك فى ذلك اختيار البتة . فإن ذلك كفر فى نعمة الحال والكفر يحل بصاحبه الهوان فى الدنيا والآخرة فاعمل على ما ذكرنا أبداً حتى ترقى إلى حالة تصير لك مقاماً تقام فيه فلا تزال عنه ، فتعلم حينئذ أنه موهبة ظهر بيانها ودليلها فتمسكه ولا تزل ، فالأحوال للأولياء والمقامات للأبدال ، والله يتولى هداك .

المقالة التاسعة فى الكشف والمشاهدة

قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه : يكشف للأولياء والأبدال فى أفعال الله ما يبهر العقول ويخرق العادات والرسوم فهى على قسمين جلال وجمال ، فالجلال والعظمة يورثان الخوف المقلق والوجل المزعج ، والغلبة العظيمة على القلب بما يظهر على الجوارح ، كما روى النبى ﷺ (كان يسمع من صدره أزيز كأزيز المرجل فى الصلاة من شدة الخوف) لما يرى من

جلال الله ﷻ وينكشف لـه من عظمته ، ونقل مثل ذلـك عـن إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه وعمر الفاروق ﷺ .

أما مشاهدة الجمال : فهى تحلى القلوب بالأنوار والسرور والألطاف ، والكلام اللذيذ والحديث الأنيس ، والبشارة بالمواهب الجسام والمنازل العالية ، والقرب منه ﷻ مما سيئول أمرهم إلى الله ، وجف به القلم من أقسامهم فى سابق الدهور فضلاً منه ورحمة ، وإثباتاً منه لهم فى الدنيا إلى بلوغ الأجل وهو الوقت المقدور ، لئلا يفرط بهم المحبة من شدة الشوق إلى الله تعالى فتنفطر مرائرهم . فيهلكون ويضعفون عن القيام بالعبودية إلى أن يأتيهم اليقين الذى هو الموت ، فيفعل ذلك بهم لطفاً منه ورحمة ومداواة ، وتربية لقلوبهم ومداراة لها ﴿ **إنه حكيم عليم** ﴾ لطيف بهم ﴿ **رءوف رحيم** ﴾ ولهذا روى عن النبى ﷺ أنه كان يقول لبلال المؤذن ﷺ : (أرحنا يا بلال بالإقامة ، لندخل فى الصلاة) لمشاهدة ما ذكرنا من الحال ، ولهذا قال : (وجعلت قرة عينى فى الصلاة) .

المقالة العاشرة في النفس وأحوالها

قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه : إنما هو الله ونفسك وأنت المخاطب والنفس ضد الله وعدوه ، والأشياء كلها تابعة لله ، والنفس لله خلقاً وملكاً ، وللنفس ادعاء وتمن وشهوة ولذة بملابستها ، فإذا وافقت الحق ﷻ فى مخالفة النفس وعدوانها فكنت لله خصماً على نفسك ، كما قال الله ﷻ لداود عليه السلام : (يا داود

أنا بدك الـــلازم فالزم بدك . العبودية أن تكون خصماً على نفسك) فتحققت حينئذ مـــوالاتك وعبوديتك لله ﷻ ، وأتتك الأقسام هنيئـــاً مريئاً مطيباً وأنت عزيز ومكرم ، وخـــدمتك الأشـــياء وعظمتـــك وفخمتك ، لأنها بأجمعها تابعة لربها موافقة لـــــه إذ هـــو خالقهـــا ومنشئها ، وهى مقرة له بالعبودية . قال الله تعـــالى : **﴿ وإن مـــن شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهـــون تســـبيحهم ۞ فقـــال لهـــا وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طـــائعين ﴾** فالعبـــادة كـــل العبادة فى مخالفة نفسك . قـــال الله تعالى : **﴿ فلا تتبـــع الهـــوى فيضلك عن سبيل الله ﴾** وقـــال لداود عليه السلام : (اهجر هواك فإنه منازع) .

والحكاية المشهورة عن أبى يزيد البسطامى رحمه الله لمـــا رأى رب العزة فى المنام فقال لـــه كيف الطريق إليك ؟ قال اترك نفسك وتعال ، فقال : فانسلخت من نفسى كما تنسلخ الحية من جلـــدها ، فإذا الخير كله فى معاداتها فى الجملة والأحوال كلها ، فإن كنت فى حال التقوى فخالف النفس ، بأن تخرج من حرام الخلـــق وشـــبههم ومنتهم والاتكال عليهم والثقة بهم والخوف منهم ، والرجـــاء لهـــم والطمع فيما عندهم من أحكام الدنيا ، فلا تبـــرح عطايـــاهم علـــى طريق الهداية والزكاة والصدقة أو النذر ، فاقطع همك مـــنهم مـــن سائر الوجوه والأسباب حتى إن كان لك نسب ذو مال لا تتمن موته لترث ماله ، فاخرج من الخلق جداً واجعلهم كالباب يرد ويفـــتح ، وشجرة توجد فيها ثمرة تارة وتختل أخرى وكل ذلك بفعـــل فاعـــل وتدبير مدبر وهو الله جل وعلا ، لتكون موحداً للرب ، ولا تـــنس مع ذلك كسبهم لتخلص من مذهـــب الجبرية ، واعتقد أن الأفعـــال

لا تتم بهم دون الله لا تعبدهم وتنسى الله ، ولا تقل فعلهــم دون الله فتكفر فتكون قدرياً ، لكن قل هى لله خلقاً وللعباد كسباً كما جــاءت به الآثار ، لبيان موضع الجزاء من الثواب والعقاب ، وامتثل أمــر الله فيهم ، وخلص قسمك منهم بأمره ولا تجاوزه فحكــم الله قــائم بحكمه عليك وعليهم ، فلا تكن أنت الحاكم ، وكونك معهــم قــدر والقدر ظلمة فادخل بالظلمة فلا المصباح وهــو كتــاب الله وســنة رسوله ﷺ ، لا تخرج عنهما فإن خطــر خــاطر أو وجــد إلهــام فاعرضه على الكتاب والسنة ، فإن وجدت فيها تحريم ذلك مثل أن نلهم بالزنا والرياء ومخالطة أهل الفسق والفجور وغير ذلــك مــن المعاصى ، فادفعه عنك واهجره ولا تقبله ولا تعمل بــه ، واقطــع بأنه الشيطان اللعين وإن وجدت فيها إباحة كالشهوات المباحة مــن الأكل أو الشرب أو اللبس أو النكاح فاهجر أيضاً ولا تقبله ، واعلم أنه من إلهام النفس وشهواتها وقد أمرت بمخالفتها وعداوتهــا وإن لم تجد فى الكتاب والسنة تحريمه وإباحته ، بل هو أمــر لا تعقلــه مثل السائق لك ، ائت موضع كذا وكذا الق فلاناً صالحاً ولا حاجة لك هناك ولا فى الصالح لاستغنائك عنه بما أولاك الله من نعمتــه من العلم والمعرفة ، فتوقف فى ذلك ولا تبادر إليه وتقول هذا إلهام من الحق جل وعلا فاعمل به بل انتظر الخير كله فى ذلك وفعــل الحق ﷻ بأن ينكر ذلك الإلهام وتؤمر بالسعى ، أو علامة تظهــر لأهل العلم بالله ﷻ يعقلها العقلاء من الأوليــاء والمؤيــدون مــن الأبدال ، وإنما لم يتبادر إلى ذلك لأنك لا تعلم عاقبته ومــا يئــول الأمر إليه ، وما كان فيه فتنة وهلاك ومكر من الله وامتحان فاصبر حتى يكون هو ﷻ الفاعل فيك ، فإذا تجرد الفعل وحملــت إلــى

هناك و استقبلتك فتنة كنت محمولاً محفوظاً فيها ، لأن الله لا يعاقبك على فعله وإنما تتطرق العقوبة نحوك لكونك فى الشئ ، وإن كنت فى حالة الحقيقة وهى حالة الولاية فخالف هواك واتبع الأمر فــى الجملة .

واتباع الأمر على قسمين : **أحدهما** أن تأخذ من الــدنيا القــوت الذى هو حق النفس وتترك الحظ ، وتؤدى الفرض وتشتغل بتــرك الذنوب ما ظهر منها وما بطن .

والقسم الثانى ما كان بأمر باطن وهو أمر الحق ﷻ يأمر عبده وينهاه وإنما يتحقق بهذا الأمر فى المباح الذى ليس له حكــم فــى الشرع على معنى ليس من قبيل النهى ولا من قبيل الأمر الواجــب بل هو مهمل ترك العبد يتصرف فيه باختياره فسمى مباحــاً فــلا يحدث العبد فيه شيئاً من عنده بل ينتظر الأمر فيه فإذا أمل امتثــل فتصير حركاته وسكناته بالله ﷻ ما فى الشرع حكمه فبالشرع وما ليس له حكم فى الشرع فبالأمر الباطن فحينئذ يصير محقاً من أهل الحقيقة وما ليس فيه أمر باطن فهو مجرد الفعل حالة التســليم وإن كنت فى حالة حق الحق وهى حالة المحو والفناء وهى حالة الأبدال المنكسرى القلوب لأجله الموحدين العارفين أرباب العلوم والعقــل السادة الأمراء الشحن خفراء الخلق خلفاء الرحمن وأخلائه وأعيانه وأحبائه عليهم السلام فاتباع الأمر فيها بمخالفتك إياك بالتبرى مــن الحول والقوة وأن لا يكون لك إرادة وهمة فى شئ البتــة دنيــا وعقبى فتكون عبد الملك لا عبد الملك وعبد الأمر لا عبد الهــوى كالطفل مع الظئر والميت الغسيل مع الغاسل والمــريض المقلــوب على جنبيه بين يدى الطبيب فيما سوى الأمر والنهى ، والله أعلم .

المقالة الحادية عشر فى الشهوة

قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه : وإذا ألقيت عليك شهوة النكاح فى حالة الفقر وعجزت عن مؤنته فصبرت عنه منتظر الفرج من البارى ﷻ ، إما بزوالها وإقلاعها عنك بقدرته التى ألقاها عليك وأوجدها فيك فيعينك أو يصونك وحيويتك عن حمل مؤنتها أيضاً أو بإيصالها إليك موهبة مهنئاً مكفياً من غير ثقل فى الدنيا ولا تعب فى العقبى ، وسماك الله ﷻ صابراً شاكراً لصبرك عنها راضياً بقسمته فزادك عصمة وقوة . فإن كانت قسماً لك ساقها إليك مكفياً مهنئاً فينقلب الصبر شكراً ، وهو ﷻ وعد الشاكرين بالزيادة فى العطاء . قال ﷻ : ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد** ﴾ .

وإن لم تكن قسماً لك فالغنى عنها بقلعها من القلب إن شاءت النفس أو أبت ، فلازم الصبر وخالف الهوى وعانق الأمر وارض بالقضاء ، وارج بذلك الفضل والعطاء ، وقد قال تعالى : ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ .

*****

المقالة الثانية عشرة فى النهى عن حب المال

قال رضى الله عنه وأرضاه : إذا أعطاك الله ﷻ مالاً فاشتغلت به عن طاعته حجبك به عنه دنيا وأخرى ، وربما سلبك إياه وغيرك وأفقرك لاشتغالك بالنعمة عن المنعم ، وإن اشتغلت بطاعته عن المال جعله لك موهبة ولم ينقص منه حبة واحدة وكان المال خادمك وأنت خادم المولى فتعيش فى الدنيا مدللاً وفى العقبى مكرماً مطيباً فى جنة المأوى مع الصديقين والشهداء والصالحين .

المقالة الثالثة عشرة فى التسليم لأمر الله

قال رضى الله عنه : لا تختر جلب النعماء ولا دفع البلوى فالنعماء إليك إن كانت قسمك استجلبتها أو كرهتها ، والبلوى حالة بك وإن كانت قسمك مقضية عليك سواء كرهتا أو رفعتها بالدعاء أو صبرت أو تجلدت لرضى المولى ، بل سلم فى الكل فيفعل الفعل فيك ، فإن كانت النعماء فاشتغل بالشكر ، وإن كانت البلوى فاشتغل بالتصبر والصبر ، أو الموافقة والتنعم بها أو العدم أو الفناء فيها على قدر ما تعطى من الحالات وتنقل فيها . وما تسير فى المنازل فى طريق المولى الذى أمرت بطاعته والموالاة . لتصل إلى الرفيق الأعلى ، فتقام حينئذ فى مقام من تقدم ومضى من الصديقين والشهداء والصالحين ، لتعاين من سبقك إلى المليك ومن دنا . ووجد عنده كل طريفة وسروراً وأمناً . وكرامة ونعماً .

دع البلية تزورك . خل من سبيلها ، ولا تقف ولا تجـزع مـن مجيئها وقربها . فليس نارها أعظم من نار جهنم ولظى . فقد ثبت فى الخبر المروى عن خير البرية . وخيـر مـن حملتـه الأرض وأظلته السماء محمد المصطفى ﷺ أنه قال : (إن نار جهنم تقـول للمؤمن جزياً مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى) فهل كان نور المـؤمن الذى أطفأ لهب النار فى لظى إلا الذى صحبه فى الدنيا الذى لمـن يمر بها من أطاعها وعصى . فليطفئ هذا النور لهـب البلـوى ، ولتجد برد صبرك وموافقتك للمولى وهيج ما حل بـك مـن ذلـك ومنك دنا . فالبلية لم تأتك لتهلكك ، لكنها تأتيك لتجربـك وتحقـق صحة إيمانك وتوثيق عروة يقينك ويبشرك باطنهـا مـن مـولاك بمباهاته بك . قال الله تعالى : ﴿ **ولنبلونكم حتى نعلـم المجاهـدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم** ﴾ فإذا ثبت مـع الخلـق إيمانـك ووافقته فى فعله بيقينك كل ذلك بتوفيق منه ومنة ، فكن حينئذ أبـداً صابراً موافقاً مسلماً لا تحدث فيك ولا فى غيرك حادثة ما خـرج عن الأمر والنهى ، فإذا كان أمره ﷻ فتسامع وتسـارع وتحـرك ولا تسكن ولا تسلم للقدر والفعل ، بل ابذل طوقك ومجهودك لتؤدى الأمر ، فإذا عجزت فدونك الالتجـاء إلى مـولاك ﷻ ، فـالتجئ إليه وتضرع واعتـذر ، وفتـش عن سـبب عجـزك عـن أداء أمـره وصدك عـن التشـوق لطاعته لعـل ذلك لشـؤم دعائـك وسـوء أدبـك فى طاعته ، ورعـونتك واتكالـك علـى حولـك وقـوتك ، وإعجابـك بعلمك وشـركك إيـاك بنفسـك وخلقـه ، فصـدك عن بابـه ، وعـزلك عن طـاعته وخدمته ، وقطـع عنك مـدد توفيقـه ، وولـى عنـك وجهـه الكريـم ، ومقتـك

وقـلاك ، وشغـلك ببـلائك دنيـاك وهـواك ، وإرادتـك ومنـاك .

أما تعلم أن كل ذلك مشغول عن ذلك ، وقاطعك عن عين الـذى خلقك ورباك ، وخولك وأعطاك وحياك .

أحذر لا يلهيك عن مولاك غيره مولاك ، وكل من سوى مولاك غيره ، فلا تؤثر عليه غيره فإنه خلقك لـه ، فلا تظلم نفسك فتشغل بغيره عن أمره فيدخلك النار التى وقودها الناس والحجارة فتنـدم ، فلا ينفعك الندم ، وتعتذر فـى تعـذر ، وتسـتعتب فـلا تعتـب ، وتسترجع إلى الدنيا لتستدرك وتصلح فلا ترجع .

أرحم نفسك وأشفق عليهـا ، واسـتعمل الآلات والأدوات التـى أعطيتها فى طاعة مولاك من الفعل والإيمان والمعرفة والعلم .

استضئ بنورها فى ظلمات الأقدار ، وتمسك بالأمر والنهـى ، وسيرهما فى طريق مولاك وسلم ما سـواهما إلـى الـذى خلقـك وأنشاك ، فلا تكفر بالذى خلقك من تراب ورباك ، ثم من نطفة ثـم رجلاً سوّاك ، ولا ترد غير أمره ، ولا تكره غير نهيه .

اقنع من الدنيا والأخرى بهذا المراد واكره فيهما هذا المكـروه ، فكل ما يراد تبع لهذا المراد ، وكل مكروه تبع لهذا المكروه .

إذا كنت مع أسرة كانت الأكوان فى أمرك ، وإذا كرهت نهيـه فرت منك المكاره أين كنت وحللت .

قال الله ﷻ فى بعض كتبه : **﴿ يا ابن آدم أنا الله لا إله إلا أنـا أقول للشئ كـن فيكون ، أطعنى أجعلك تقول للشئ كن فيكـون ﴾** وقـال ﷻ : **(يا دنيا من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فأتعبيـه)** فإذا جاء نهيه ﷻ فكن كأنك مسترخى المفاصل ، مسكن الحواس ،

مضيق الذرع ، متماوت الجسد زائل الهوى ، منطمس الوسـوم ، منمحى الرسوم ، منسى الأثـر مظلم القنا ، متهدم البناء ، خـاوى البيت ، سـاقط العرش ، لا حس ولا أثر ، فليكن سمعك كأنه أصم وعلى ذلك مخلوق وبصرك كأنه معصب أو مرمود أو مطمـوس ، وشفتاك كان بهما قرحة وبثوراً ، ولسانك كأن به خرسـاً وكلـولاً وأسنانك كأن بهما ضربانا وألما نشوراً ، ويداك كان بهمـا شـللاً وعـن البطش قصوراً ، ورجلاك كـأن بهمـا رعـدة وارتعاشـاً وجروحاً ، وفرجك كأن به عنة وبغير ذلك الشأن مشغولاً ، وبطنك كأن به امتلاء وارتواء وعن الطعام غنى ، وعقلك كأنـك مجنـون ومخبول ، وجسدك كأنك ميت وإلى القبـر محمـول ، فالتسـامع والتسارع فى الأمر ، والتقاعد والتجاعد والتقاصر فـى النهـى ، والتماوت والتعادم والتفانى فى القدر ، فاشرب هذه الشربة ، وتداو بهذا الدواء ، وتغذ بهذا الغذاء تنجح وتشفى ، وتعافى من أمـراض الذنوب وعلل الأهواء ، بإذن الله تعالى إن شاء الله .

المقالة الرابعة عشر فى إتباع أحوال القوم

قـال رضى الله تعالى عنـه وأرضاه : لا تـدع حالـة القـوم يا صاحب الهوى أنت تعبد الهوى وهم عبيد المولى ، أنت رغبتـك فى الدنيا ورغبة القوم فى العقبى ، أنت ترى الدنيا وهم يرون رب الأرض والسماء ، وأنت أنسك بالخلق وأنس القوم بـالحق ، أنـت قلبك متعلق بمن فى الأرض وقلوب القوم بـرب العـرش ، أنـت يصطادك من ترى وهم لا يرون من ترى ، بل يرون خالق الأشياء

وما يرى ، فاز القوم به وحصلت لهم النجاة ، وبقيت أنت مرتهناً بما تشتهى من الدنيا وتهوى ، فنوا عن الخلق والهوى والإرادة والمنى فوصلوا إلى الملك الأعلى ، فأرفقهم على غاية ما رام منهم من الطاعة والحمد والثناء **﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾** فلازموا ذلك وواظبوا بتوفيق منه وتيسير بلا عناء ، فصارت الطاعة لهم روحاً وغذاء ، وصارت الدنيا إذ ذاك فى حقهم نقمة وخزياً ، فكأنها لهم جنة المأوى إذ ما يرون شيئاً من الأشياء حتى يروا قبله فعل الذى خلق وأنشأ فيهم ثبات الأرض والسماء ، وقرار الموت والإحياء إذ جعلهم مليكهم أوتاداً للأرض التى دحى ، فكل كالجبل الذى رسا ، فتنح عن طريقهم ولا تزاحم من لم يفده عن قصده الآباء والأبناء ، فهم خير من خلق ربى وبث فى الأرض وذرأ ، فعليهم سلام الله وتحياته مادامت الأرض والسماء .

المقالة الخامسة عشرة فى الخوف والرجاء

قال قدس سره العزيز : رأيت في المنام كأني في موضع شبه مسجد وفيه قوم منقطعون ، فقلت لو كان لهؤلاء فلان يؤدبهم ويرشدهم ، فأشرت إلى رجل من الصالحين فاجتمع القوم حولي فقال واحد منهم : فأنت لأى شئ لا تتكلم ؟ فقلت : إن رضيتمونى لذلك ، ثم قلت : إذا انقطعتم من الخلق إلى الحق فلا تسألوا الناس شيئاً بألسنتكم ، فإذا تركتم ذلك فلا تسألوهم بقلوبكم ، فإن السؤال بالقلب كالسؤال باللسان .

ثم اعلموا أن الله كل يوم هو فى شأن ، فى تغيير وتبديل ورفـــع وخفض ، فقـــوم يرفعهم إلى عليين ، وقوم يحطهـــم إلـــى أســـفل سافلين ، فخوف الذين رفعهم إلى عليين أن يحطهـــم إلـــى أســـفل سافلين ، ورجاؤهم أن يبقيهم ويحفظهم على ما هم عليه من الرفع . وخوف الذين حطهم إلى أسفل ســـافلين ، أن يبقيهم ويخلدهم علـــى ما هـــم فيه من الحط ، ورجاؤهم أن يرفعهم إلـــى عليـــين ، ثـــم انتبهت .

المقالة السادسة عشرة فى التوكل ومقاماته

قـــال رضى الله عنه : ما حجبت عن فضل الله والبـــدء بنعمه إلا لاتكالك على الخلق والأسباب ، والصنائع والاكتساب ، فـــالخلق حجابك عن الأكل بالسنة وهو المكسب ، فمادمت قائماً مع الخلـــق راجياً لعطاياهم وفضلهم سائلاً لهم متردداً إلى أبوابهم فأنت مشرك بالله خلقه ، فيعاقبك بحرمان الأكل بالسنة الذى هـــو الكســـب مـــن حلال الدنيا ، ثم إذا تبـــت عـــن القيام مـــع الخلق وشركك بربـــك ﷻ إياهم ورجعت إلى الكسب فتأكل بالكسب وتتوكل على الكسب وتطمئن إليه وتنسى فضل الرب ﷻ ، فأنت مشرك أيضاً ، إلا أنه شرك خفى أخفى من الأول ، فيعاقبك الله ﷻ ويحجبك عن فضـــله والبداءة به ، فإذا تبت عن ذلك وأزلت الشرك عن الوسط ، ورفعت اتكالك عن الكسب والحول والقوة ، ورأيت الله ﷻ هو الـــرزاق ، وهو المسبب والمسهل والمقوى على الكسب ، والموفق لكل خير ، والرزق بيده تارة يواصلك به بطريق الخلق على وجه المسألة لهم

فى حالة الابتلاء أو الرياضة أو عند سؤالك لـــه ﷻ ، وأخـــرى بطريق الكسب معاوضة وأخرى من فضله مبادأة من غير أن ترى الواسطة والسبب ، فرجعت إليه واستطرحت بين يديـــه ، رفـــع الحجاب بينك وبين فضله ، وباداك وغذاك بفضله ، عند كل حاجة على قدر ما يوافق حالك ، كفعل الطبيب الشفيق الرفيـــق الحبيـــب للمريض حماية منه ﷻ ، وتنزيهاً لك عن الميل إلى من ســـواه ، يرضيك بفضله ، فإذا ينقطع عن قلبك كل إرادة وكل شـــهوة ولـــذة ومطلوب ومحبوب ، فلا يبقى فى قلبك سوى إرادتـــه ﷻ ، فـــإذا أراد أن يسوق إليك قسمك الذى لابد من تناوله وليس هـــو رزقـــاً لأحد من خلقه سواك ، أوجد عندك شهوة ذلك القسم وســـاقه إليك ، فيواصلك به عند الحاجة ، ثم يوفقك ويعرفك أنه منه وهـــو ســـائقه إليك ورازقه لك ، فتشكره حينئذ وتعرف وتعلم ، فيزيدك خروجـــاً من الخلق وبعداً من الأيام وأخليت الباطن عما سواه ﷻ . ثـــم إذا قوى علمك ويقينك ، وشـــرح صدرك ونـــور قلبك ، وزاد قربـــك من مولاك ومكانتك لديـــه عنـــده ، وأهليتـــك لحفـــظ الأســـــرار علمت متى يأتيك قسمك كرامة لك وإجـــــلالاً لحرمتـــــك فضـــلاً منـــه ومنة وهدايـــة ، قـــال الله ﷻ : ﴿ **وجعلنـــا مـــنهم أئمـــة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانـــوا بآياتنا يوقنون** ﴾ . وقـــال الله تعـــالى : ﴿ **والذين جاهدوا فينـــا لنهـــدينهم ســـبلنا** ﴾ . وقـــــال تعـــالى : ﴿ **واتقـــوا الله ويعلمكـــم الله** ﴾ ثـــم يـــــرد عليـــك التكـــوين فتكـــون بالإذن الصريح الـــذى هـــو لا غبـــــار عليـــه والدلالات اللائحـــة كالشمس المنـــيرة ، وبكلامـــه اللذيـــذ الـــذى هـــو ألـــذ مـــن كـــل لذيـــذ ، وإلهـــام صـــــدق مـــــن غـــــير

تلبس مصفى من هواجس النفس ووساوس الشيطان اللعين .

قال الله تعالى فى بعض كتبه : ﴿ **يا ابن آدم أنا الله الذى لا إله إلا أنا أقول للشئ كن فيكون ، اطعنى أجعلك تقول للشئ كن فيكون** ﴾ . وقد فعل ذلك بكثير من أنبيائه وأوليائه وخواصه من بنى آدم .

المقالة السابعة عشرة
فى كيفية الوصول إلى الله بواسطة المرشد

قال رضى الله تعالى عنه : إذا وصلت إلى الله وقربت بتقريبه وتوفيقه . ومعنى الوصول إلى الله ﷻ خروجك عن الخلق والهوى والإرادة والمنى ، والثبوت مع فعله ومن غير أن يكون منك حركة فيك ولا فى خلقه بك ، بل بحكمه وأمره ، وفعله فهى حالة الفناء يعبر عنها بالوصول ، فالوصول إلى الله ﷻ ليس كالوصول إلى أحد من خلقه المعقول المعهود ﴿ **ليس كمثله شئ وهو السميع البصير** ﴾ جل الخالق أن يشبه بمخلوقاته أو يقاس على مصنوعاته فالواصل إليه ﷻ معروف عند أهل الوصول بتعريفه ﷻ لهم كل واحد على حدة لا يشاركه فيه غيره ، وله ﷻ مع كل واحد من رسله وأنبيائه وأوليائه سر من حيث هو لا يطلع على ذلك أحد غيره ، حتى أنه قد يكون للمريد سر لا يطلع عليه شيخه ، وللشيخ سر لا يطلع عليه مريده الذى قد دنا سيره إلى عتبة باب حالة شيخه ، فإذا بلغ المريد حالة شيخه أفرد عن الشيخ وقطع

عنه ، فيتولاه الحق ﷻ فيفطمه عن الخلق جملة ، فيكون الشيخ كالظئر والداية ، لا رضاع بعد الحولين ، ولا خلق بعد زوال الهوى والإرادة . الشيخ يحتاج إليه مادام ثم هوى وإرادة لكسرهما ، وأما بعد زوالهما فلا ، لأنه لا كدورة ولا نقصان . فإذا وصلت إلى الحق ﷻ على ما بينا فكن آمناً أبداً من سواه ﷻ فلا ترى لغيره وجوداً البتة ، لا فى الضر ولا فى النفع ، ولا فى العطاء ولا فى المنع ، ولا فى الخوف ولا فى الرجاء ، هو ﷻ أهل التقوى وأهل المغفرة ، فكن أبداً ناظراً إلى فعله مترقباً لأمره ، مشتغلاً بطاعته ، مبايناً عن جميع خلقه دنيا وأخرى .

لا تعلق قلبك بشئ منهم واجعل الخليفة أجمع كرجل كتفه سلطان عظيم ملكه شديد أمره ، مهولة صولته وسطوته ، ثم جعل الغل فى رقبته ، مع رجليه ، ثم صلبه على شجرة الأذرة على شاطئ نهر عظيم موجه ، فسيح عرضه ، عميق غوره ، شديد جريه ، ثم جلس السلطان على كرسيه ، عظيم قدره ، عال سماؤه ، بعيد مرامه ووصوله ، وترك إلى جنبه أحمالاً من السهام والرماح والنبل وأنواع السلاح والقسى ومما لا يبلغ قدرها غيره ، فجعل يرمى إلى المصلوب بما شاء من ذلك السلاح ، فهل يحسن لمن يرى ذلك أن يترك النظر إلى السلطان والخوف منه والرجاء له وينظر إلى المصلوب ويخاف منه ويرجوه ، أليس من فعل ذلك يسمى فى قضية العقل عديم العقل والحس مجنوناً . بهيمة إنسان ؟ نعوذ بالله من العمى بعد البصيرة ، ومن القطيعة بعد الوصول ، ومن الصدود بعد الدنو والقرب ، ومن الضلالة بعد الهداية ، ومن

الكفر بعد الإيمان . فالدنيا كالنهر العظيم الجارى الذى ذكرناه كل يوم فى زيادة ماء وهى شهوات بنى آدم ولذاتهم فيها ، والدواهى التى تصيبهم منها . وأما السهام وأنواع السلاح فالبلايا التى يجرى بها القدر إليهم ، فالغالب على بنى آدم فى الدنيا البلايا والنفع والآلام والمحن ، وما يجدون من النعم واللذات فيها فمشوبة بالآفات إذا اعتبرها كل عاقل لا حياة له ولا عيش ولا راحة إلا فى الآخرة إن كان مؤمناً ، لأن ذلك خصوصاً فى حق المؤمن . قال النبى ﷺ : " **لا** عيش إلا عيش الآخرة " وقال عليه الصلاة والسلام " لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه " ذلك فى حق المؤمنين وقال ﷺ : " الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر " وقال عليه الصلاة والسلام : " التقى ملجم " فمع هذه الأخبار والعيان كيف يدعى طيب العيش فى الدنيا . فالراحة كل الراحة فى الانقطاع إلى الله ﷻ وموافقته ، والاستطراح بين يديه : فيكون العبد بذلك خارجاً عن الدنيا ، فحينئذ يكون الدلال رأفة ورحمة ولطفاً وصدقة وفضلاً والله أعلم .

المقالة الثامنة عشرة فى النهى عن الشكوى

قال رضى الله عنه : الوصية لا تشكون إلى أحد ما نزل بك من خير كائناً من كان صديقاً أو عدواً ولا تتهمن الرب ﷻ فيما فعل فيك وأنزل بك من البلاء ، بل أظهر الخير والشكر ، فكذبك بإظهارك للشكر من غير نعمة عندك خير من صدقك فى إخبارك جلية الحال بالشكوى ، من الذى خلا من نعمة الله ﷻ ؟ قال الله تعالى : ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ فكم من نعمة عندك

وأنت لا تعرفها ؟ لا تسكن إلى أحد من الخلق ، ولا تستأنس بـه ، ولا تطلع أحد على ما أنت فيه ، بل يكون أنسك بالله ﷻ وسكونك إليه وشكواك منه إليه لا ترى ثانياً فإنه ليس لأحد ضر ولا نفـع ، ولا جلـب ولا دفع ، ولا عـز ولا ذل ، ولا رفـع ولا خفـض ، ولا فقر ولا غنى ، ولا تحريك ولا تسكين ، الأشياء كلها خلـق الله ﷻ بيد الله ﷻ ، بأمره وإذنه جريانها ، وكل يجرى لأجل مسمى وكـل شئ عنده بمقـدار ، لا مقدم لما أخر ، ولا مؤخر لما قدم ، قال الله ﷻ : ﴿ **وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هـو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عبـاده وهـو الغفور الرحيم** ﴾ فإن شكوت منه ﷻ وأنت معافى وعندك نعمـة طالباً للزيادة وتعامياً عن ماله عندك من النعمة والعافية استهزاء بها غضب عليك وأزالهما عنك ، وحقق شكواك ، وضاعف بلـواك ، وشدد عقوبتك ومقتك وقلاك ، وأسقطك من عينه ، احذر الشـكوى جداً ولو قطعت وقرض لحمك بالمقاريض .

إياك إياك ثم إياك ، الله الله ثم الله ، النجاة النجاة ، الحذر الحذر فإن أكثر ما ينزل بابن آدم من أنواع البلاء بشكواه من ربـه ﷻ . كيف يشتكى منه ﷻ وهو أرحم الراحمين ، وخير الحاكمين حكيم خبير ، روءف رحيم ، لطيف بعباده ، وليس بظلام للعبيد ، كطبيب حكيم حبيب شفيق لطيف وقريب هل تتهم الوالدة الرحيمة قال النبى ﷺ : " الله أرحم بعبده من الوالدة بولدها " أحسن الأدب يا مسـكين تصبر عند البلاء إن ضعفت عن الصبر ، ثم أصبر إن ضعفت عن الرضا والموافقة . ثم أرض ووافق إن وجدت ، ثم افن إذا فقدت . أيها الكبريت الأحمر أين أنت أين توجد وترى ؟ أما تسـمع إلـى

قوله ﷻ : **﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾** طوى عنك علم حقيقة الأشياء وحجبك عنه ، فلا تسئ الأدب فتكره بك أو تحب بك ، بل اتبع الشرع فى جميع ما ينزل بك إن كنت فى حالة التقوى التى هى القدم الأولى ، واتبع الأمر فى حالة الولاية وخمود وجود الهوى ولا تجاوزه وهى القدم الثانية ، وارض بالفعل ووافق ، وافن فى حالة البدلية والغوثية والقطبية والصديقية ، وهى المنتهى . تنح عن طريق القدر ، خل عن سبيله ، رد نفسك وهواك ، كف لسانك عن الشكوى ، فإذا فعلت ذلك ، إن كان خيراً زادك المولى طيبة وسروراً ولذة ، وإن كان شراً حفظك فى طاعته فيه ، وأزال عنك الملامة ، وأفقدك فيه حتى يتجاوز عنك ، ويرحل عند انقضاء أجله ، كما ينقضى الليل فيسفر عن النهار ، والبرد فى الشتاء فيسفر عن الصيف ، ذلك أنموذج عندك ، فاعتبر بهم ، ثم ذنوب وآثام وإجرام وتلويثات بأنواع المعاصى والخطيئات ولا يصلح لمجالسة الكريم إلا الطاهر عن أنجاس الذنوب والزلات ، ولا يقبل على سدته إلا طيباً من درن الدعاوى والوهوسات ، كما لا يصلح لمجالسة الملوك إلا الطاهر من الأنجاس وأنواع النتن والأوساخ ، فالبلايا مكفرات مطهرات قال النبى ﷺ : (حمى يوم كفارة سنة) صدق ﷺ .

*****

المقالة التاسعة عشرة
فى الأمر بوفـــاء الوعد والنـهى عن خلفه

قال رضى الله عنه : إذا كنت ضعيف الإيمان واليقين ووعـــدت بوعد وف بوعدك ، ولا تحلف كيلا يزول إيمانك ويذهب يقينـــك ، وإذا قوى ذلك فى قلبك وتمكنت خوطبت بقوله ﴿ **إنك اليوم لـــدينا مكين أمين** ﴾ وتكرر هذا الخطاب لك حالاً بعد حـــال فكنـــت مـــن الخواص بل من خواص الخواص ولم يبق لك إرادة ولا مطلـــب ، ولا عمل تعجب به ولا قربة تراها ، ولا منزلة تلمحهـــا ، فتســـمو همتك إليها ، فصرت كالإنـــاء المنـــثلم الذى لا يثبت فيه مـــائع ، فلا يثبت فيك إرادة ولا خلـــق ولا همة إلى شئ من الأشياء دنيـــا وأخرى ، وطهرت مما سوى الله تعالى ، وأعطيت رضاك عن الله ﷻ ، ووعدت برضوانه ﷻ عنك ، ولذذت ونعمـــت بأفعـــال الله ﷻ أجمع ، فحينئذ توعد بوعد ، فإذا اطمأننت إليه ووجـــدت فيـــه أمارة إرادة ما نقلت عن ذلك الوعد إلى مـــا هـــو أعلـــى منـــه ، وصرفت إلى أشـــرف منه ، وعوضت عن الأول بـــالغنى عنـــه ، وفتحت لك أبواب المعارف والعلوم واطلعت على غوامض الأمور وحقائق الحكمة والمصالح المـــدفونة فى الانتقال مـــن الأول إلـــى ما يليه ويزاد حينئذ فى مكانتك فى حفظ الحال ثم المقـــام ، وفـــى أمانتك فى حفظ الأسرار وشرح الصدور وتنوير القلب وفصـــاحة اللسان والحكمة البالغة فى إلقاء المحبة عليك ، فجعلـــت محبـــوب الخليقة أجمع الثقلين وما سواهما دنيا وأخرى . وإذا صرت محبوب

الحق ﷻ ، والخلق تابع للحق جل وعلا ، ومحبتهم مندرجة في محبته ، كما أن بغضهم يندرج في بغضه ﷻ . فإذا بلغت هذا المقام الذى ليس لك فيه إرادة شئ البتة جعلت لك إرادة شئ من الأشياء ، فإذا تحققت إرادتك لذلك الشئ أزيل الشئ وأعدم ، وصرفت عنه فلم تعطه فى الدنيا ، وعوضت عنه فى الأخرى بما يزيدك قربة وزلفى إلى العلى الأعلى ، وما تقربه عيناك فى الفردوس الأعلى وجنة المأوىٰ ، وإن كنت لم تطلب ذلك وتأمله وترجوه وأنت فى دار الدنيا التى هى دار الفناء والتكاليف والعناء ، بل رجاؤك وأنت فيها وجه الذى خلق وبرأ ومنع وأعطى ، وبسط الأرض ورفع السماء إذ ذاك هو المراد والمطلوب والمنى ، وربما عوضت عن ذلك بما هو أدنى منه أو مثله فى الدنيا بعد انكسار قلبك وبصرك ، حينئذ يصدك عن ذلك المطلوب والمراد ، وتحقيق العوض فى الأخرى على ما ذكرنا وبينا ، والله سبحانه أعلم .

المقالة العشرون
فى قوله ﷺ (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)

قال رضى الله عنه : دع ما يريبك إذا اجتمع مع ما لا يريبك فخذ بالعزيمة التى لا يشوبها ريب ولا شك ، ودع ما يريبك ، فأما إذا تجرد المريب المشوب الذى لم يصف عن حز القلب وحكه فتوقف فيه وانظر الأمر فيه ، فإن أمرت بتناوله فدونك وإن أمرت بالكف عنه ومنعت فكف ، فليكن ذلك عندك كأنه لم يكن ولم يوجد ، ارجع إلى الباب وابتغ عند ربك الرزق ، وإن ضعفت

عن الصبر أو الموافقة أو الرضا أو الفنا فهــو عز وجل لا يحتــاج أن يذكر فليس بغافل عنك وعن غيــرك ، وهــو عز وجل يطعــم الكفــار والمنافقين والمدبرين عنه فكيف ينساك أيها المؤمن الموحد المقبــل على طاعته والقائم بأمره فى آناء الليل وأطراف النهار ؟ .

(وجه آخــر) دع مــا فى أيدى الخلق فلا تطلبه ولا تعلق قلبك به ، ولا ترجو الخلق ولا تخافهم ، وخــذ من فضل الله عز وجل وهــو ما لا يريبك ، وليكن لك مسئول واحد ومعط واحد ومرجو واحــد ومخوف واحد وموجود واحد وهمة واحدة وهو ربك عز وجل ، الــذى نواصى الملوك بيده وقلوب الخلق بيده التى هى أمراء الأجســاد ، وأموال الخلق له عز وجل ، وهم وكلاؤه وأمنــاؤه ، وحركــة أيــديهم بالعطاء لك بإذنه عز وجل وأمره وتحريكه . وكفها عن عطائك كــذلك قال عز من قائل : **﴿ واسألوا الله من فضله ﴾** وقال تعالى : **﴿ إن الذين تدعون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فــابتغوا عنــد الله الرزق واعبدوه واشكروا لــه إليه ترجعون ﴾** . وقــال سبحانه : **﴿ وإذا ســألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعـــوة الــداع إذا دعان ﴾** . وقــال تعالى : **﴿ ادعونى أستجب لكم ﴾** . وقال تعالى : **﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتــين ﴾** . وقــال تعــالى : **﴿ إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾** .

*****

المقالة الحادية والعشرون
فى مكالمـــة إبليـــس عليه اللعنة

قال رضى الله عنه : رأيت إبليس اللعين فى المنام وأنا فى جمع كثير فهممت بقتله ، فقال لى لعنة الله لم تقتلنـــى ومـــا ذنبـــى ؟ إن جرى القدر بالشر فلا أقدر أغيره إلى خير وأنقله إليه ، وإن جرى بالخير فلا أقدر أغيره إلى شر وأنقله إليه ، فأى شئ بيدى ؟ وكانت صورته على صورة الخناثى لين الكلام مشوه الوجه طاقات شـــعر فى ذقنه حقير الصورة دميم الخلقة ، ثم تبسم فى وجهى تبسم خجل ووجل وذلك فى ليلة الأحد ثانى عشر ذى الحجة من سنة ستة عشر وخمسمائة ، والله الهادى لكل خير .

المقالة الثانية والعشرون
فى ابتـــلاء المؤمـــن على قـــدر إيمانه

قال رضى الله عنه وأرضاه : لا يزال الله يبتلى عبـــده المـــؤمن على قدر إيمانه ، فمن عظم إيمانه وكثر وتزايـــد عظـــم بـــلاؤه ، الرسول بلاؤه أعظم من بلاء النبى ، لأن إيمانه أعظـــم ، والنبـــى بلاؤه أعظم من بلاء البدل وبلاء البدل أعظم من بلاء الولى ، كـــل واحد على قدر إيمانه ويقينه . وأصل ذلك قول النبـــى ﷺ : (إنـــا معشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل) فيديم الله تعـــالى البـــلاء لهؤلاء السادات الكـــرام حتى يكـــونوا أبداً فى الحضـــرة

ولا يغفلوا عن اليقظة ، لأنه يحبهم ، فهم أهـــل المحبـــة يحبـــون الحق ، والمحب أبداً لا يختار بعد محبوبه ، فالبلاء خطاف لقلوبهم وقيد لنفوسهم ، يمنعهم عن الميل إلى غيـــر مطلـــوبهم والســـكون والركون إلى غير خالقهم ، فإذا دام ذلك فى حقهم ذابـــت أهـــويتهم وانكسرت نفوسهم وتميز الحق مـــن الباطـــل فتنـــزوى الشـــهوات والإرادات ، والميل إلى اللذات والراحات دنيا وأخرى بأجمعها إلى ما يلى النفس ويصير السكون إلى وعـــد الحـــق ﷻ ، والرضـــا بقضائه ، والقناعة بعطائه ، والصبر على بلائه ، والأمن من شـــر خلقه إلى ما يلى القلب ، فتقوى شوكة القلب ، فتصير الولاية على الجوارح إليه ، لأن البلاء يقوى القلب واليقين ، ويحقـــق الإيمـــان والصبر ، ويضعف النفس والهوى ، لأنه كلما وصل الألـــم ووجد من المؤمن الصبر والرضا والتسليم لفعل الرب ﷻ ، رضى الرب تعالى عنه وشكره ، فجاءه المدد والزيادة والتوفيـــق . قـــــال الله تعالى : ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم** ﴾ وإذا تركت النفس بطلب الشـــهوة من شهواتها ولذة من لذاتها من القلب فأجابها القلب إلى مطلوبهـــا ذلك من غير أمر من الله تعالى وإذن منه حصلت بذلك غفلة عـــن الحق تعالى وشرك ومعصية ، فعمهما الله تعالى بالخذلان والبلايـــا وتسليط الخلق ، والأوجاع والأمراض والإيذاء والتشويش ، فينـــال كل واحد من القلب والنفس حظ وإن لم يجب القلب والـــنفس إلـــى مطلوبها حتى يأتيه الإذن من قبل الحـــق ﷻ بإلهـــام فـــى حـــق الأولياء ، ووحى صريح فى حق المرســـلين والأنبيـــاء ، علـــيهم الصلاة والسلام ، فعمل ذلك عطاء ومنعاً ، وعمهما الله بالرحمـــة والبركة ، والعافيـــة والرضا ، والنور والمعرفة ، والقرب والغنى

والسلامة من الآفـــات ، والنصر على الأعـــداء فاعلم ذلك واحفظه واحذر البلاء جداً فى المسارعة إلى إجابة النفس والهـــوى ، بـــل توقف وترقب فى ذلك إذن المولى جل جلاله ، فتسلم فـــى الـــدنيا والعقبى إن شاء الله تعالى .

المقالة الثالثة والعشرون فى الرضـــا بما قســـم الله تـــعالى

قال رضى الله عنه وأرضاه : أرض بالدون وألزمه جداً حتـــى يبلغ الكتاب أجله فتنقل إلى الأعلى والأنفس ، وبها تهنأ وفيه تبقـــى وتحفظ بلا عناء دنيا وأخرى ولا تبعة ولا عدوى ، ثم تترقى مـــن ذلك إلى ما هو أقر عيناً منه وأهنأ .

واعلم أن القسم لا يفوتك بترك الطلب ، وما ليس بقسم لا تنالـــه بحرصك فى الطلب والجـــد والاجتهاد ، فاصـــبر والـــزم الحـــال وأرض به ، لا تأخذ بك حتى تؤمر ، ولا تعطى بك حتى تـــؤمر ، ولا تتحرك بك ولا تسكن بك ، فتبتلى بك وبمن هو شر منك مـــن الخلق لأنك بذلك تظلم والظالم لا يغفل عنه قال الله ﷻ : ﴿ **وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً** ﴾ لأنك فى دار ملك عظيم أمره شـــديد وشوكته ، كثير جنده نافذة مشيئته قاهـــر حكمه بـــاق ملكـــه دائـــم سلطانه دقيق علمه بالغة حكمته عـــدل قضاؤه . (لا يعزب عنـــه مثقـــال ذرة فى الأرض ولا فى السماء) لا يجاوزه ظلم ظالم فأنت أعظمهم ظلماً وأكبرهم جريمة ، لأنك أشركت بتصرفك فيك وفـــى خلقه ﷻ بهواك . قال الله تعـــالى : ﴿ **لا تشرك بالله إن الشـــرك**

لظلم عظيم ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾** اتق الشرك جداً ولا تقربه ، واجتنبه فـــى حركاتك وسكناتك وليلك ونهارك ، فى خلوتك وجلوتــك . واحـــذر المعصية فى الجملة فى الجوارح والقلب واترك الإثم ما ظهر منـــه وما بطن . لا تهرب منه ﷻ فيدركك ، ولا تنازعه فـــى قضـــائه فيقصمك ، وتتهمه فى حكمه فيخـــذلك ، ولا تغفـــل عنـــه فينبهـــك ويبتليك ، ولا تحدث فى داره حادثة فيهلكك ، ولا تقل فـــى دينـــه بهواك فيرديك ويظلم قلبك ، ويسلب إيمانك ومعرفتـــك ، ويســـلط عليك شيطانك ونفسك وهواك وشهواتك وأهلك وجيرانك وأصحابك وأخلاءك وجميع خلقه حتى عقارب دارك وحياتها وجنهـــا وبقيـــة هوامها فينغص عيشك فى الدنيا ويطيل عذابك فى العقبى .

المقالة الرابعة والعشرون
فى الحث على ملازمـــة بـــاب الله تعالى

قال رضى الله عنه وأرضاه : احـــذر معصـــية الله ﷻ جـــداً ، وألزم بابه حقاً وابذل طوقك وجهدك فى طاعته معتذراً متضـــرعاً مفتقراً خاضعاً ، متخشعاً مطرقاً ، غير ناظر إلى خلقـــه ولا تـــابع لهواك ، ولا طالب للأعواض دنيا وأخرى ، ولا ارتقاء إلى المنازل العالية والمقامات الشريفة ، واقطع بأنك عبده والعبـــد ومـــا ملـــك لمولاه ، لا يستحق عليه شيئاً من الأشياء ، أحسن الأدب ولا تـــتهم مولاك ، فكل شئ عنده بمقدار ، لا مقـــدم لما أخر ولا مؤخر لمـــا قدم ، يأتيك ما قدر لك عند وقته وأجله إن شئت أو أبيت ، لا تشره

على ما سيكون لك ، ولا تطلب وتلهف على ما هو لغيرك ، فما ليس هو عندك لا يخلو إما أن يكون لك أو لغيرك ، فإن كان لك فهو إليك صائر وأنت إليه مقاد ومسير ، فاللقاء عن قريب حاصل ، وما ليس لك فأنت عنه مصروف وهو عنك مول فأنى لكما التلاق فاشغل بإحسان الأدب فيما أنت بصدده من طاعة مولاك ﷻ في وقتك الحاضر ، ولا ترفع رأسك ولا تمل عنقك إلى ما سواه . قال الله تعالى : **﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ﴾** فقد نهاك الله ﷻ عن الالتفات إلى غير ما أقامك فيه ورزقك من طاعته وأعطاك من قسمه ورزقه وفضله ، ونبهك أن ما سوى ذلك فتنة افتتنهم به ، ورضاك بقسمك خير لك وأبقى وأبرك وأحرى وأولى ، فليكن هذا دأبك ومتقلبك ومثواك ، وشعارك ودثارك ومرادك ومرامك ، وشهوتك ومناك ، تنل به كل المرام ، وتصل به إلى كل مقام وترقى به إلى كل خير ونعيم وطريف وسرور ونفيس . قال الله تعالى : **﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾** ولا عمل بعد العبادات الخمس وترك الذنوب ، ولا أجمع ولا أعظم ولا أشرف ولا أحب إلى الله ﷻ ، ولا أرضى عنده مما ذكرنا لك ، وفقنا الله وإياك لما يحب ويرضى بمنه .

*****

المقالة الخامسة والعشرون
فى شجرة الإيمان

قال رضى الله عنه وأرضاه : لا تقولن يا فقير اليد ، يا مـولى عنه الدنيا وأبناؤها ، يا خامل الذكـر بين ملـوك الدنيا وأربابها ، يا جائع يا نايع يا عريان الجسد يا ظمآن الكبد يا مشتتاً فـى كـل زاوية من الأرض من مسجد وبقاع خراب ، ومردوداً مـن كـل باب ، ومدفوعاً عن كل مراد ، ومنكسراً ومزدحماً فى قلبـه كـل حاجة ومرام . إن الله تعالى أفقرنى وذوى عنى الـدنيا وغرنـى ، وتركنى وقلانى وفرقنى ولم يجمعنى ، وأهاننى ولم يعطنـى مـن الدنيا كفاية ، وأخملنى ولم يرفع ذكرى بـين الخليقـة وإخـوانى ، وأسبل على غيرى نعمة منه سابغة يتقلب فيها فى ليلـه ونهـاره ، وفضله علىّ وعلى أهل ديارى وكلانا مسلمان مؤمنـان ويجمعنـا أبونا آدم وأمنا حواء عليهما السلام ، أما أنت فقد فعل الله ذلك بك ، لأن طينتك حرة وندى رحمة الله متدارك عليك من الصبر والرضا واليقين والموافقة والعلم وأنوار الإيمان والتوحيد متـراكم لـديك ، فشجرة إيمانك وغرسها وبذرها ثابتة مكينة مورقة مثمرة متزايـدة متشعبة غضة مظللة متفرعة ، فهى كل يوم فى زيادة ونمو ، فـلا حاجة بها إلى سباطة وعلف لتنمى بها وتربى ، وقد فـرغ الله ﷻ من أمرك على ذلك ، وأعطاك فى الآخرة دار البقاء وخولك فيها ، وأجـزل عطاءك فى العقبى ممـا لا عـين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلـب بشـر . قـال الله تعالى : ﴿ **فلا تعلم نفـس**

ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ أى ما عملوا فى الدنيا من أداء الأوامر ، والصبر على ترك المناهى ، والتسليم والتفويض إليه فى المقدور ، والموافقة له فى جميع الأمور .
وأما الغير الذى أعطاه الله ﷻ الدنيا وخوله ونعمه بها وأسبغ عليه فضله فعل به ذلك ، لأن محل إيمانه أرض سبخة وصخر لا يكاد يثبت فيها الماء وتنبت فيها الأشجار ، ويتربى فيها الزرع والثمار فصب عليها أنواع سباطه وغيرها مما يربى به النبات والأشجار ، وهى الدنيا وحطامها ليحفظ بها ما أنبت فيها من شجرة الإيمان وغرس الأعمال ، فلو قطع ذلك عنها لجف النبات والأشجار ، وانقطعت الثمار ، فخرجت الديار ، وهو ﷻ مريد عمارتها ، فشجرة إيمان الغنى ضعيفة المنبت وجال عما هو مشحون به منبت شجرة إيمانك يا فقير ، فقوتها وبقاؤها بما ترى عنده من الدنيا وأنواع النعيم ، فلو قطع ذلك عنه مع ضعف الشجرة جفت ، فكان كفراً وجحوداً وإلحاقاً بالمنافقين والمرتدين والكفار ، اللهم إلا أن يبعث الله ﷻ إلى الغنى عساكر الصبر والرضا واليقين والتوفيق والعلم وأنواع المعارف فيقوى الإيمان بها فحينئذ لا يبالى بانقطاع الغنى والنعيم ، والله الهادى الموفق .

*****

المقالة السادسة والعشرون
فى النهى عن كشف البرقع عن الوجه

قال رضى الله عنه وأرضاه : لا تكشف البرقع والقناع عن وجهك حتى تخرج من الخلق وتوليهم ظهر قلبك فى جميع الأحوال ويزول هواك ، ثم تزول إرادتك ومناك ، فتفنى عن الأكوان دنيا وأخرى ، فتصير كإناء منثلم لا يبقى فيك غير إرادة ربك ﷻ فتمتلئ به ﷻ وبحكمه ، إذا خرج الزور دخل النور ، فلا يكون لغير ربك فى قلبك مكان ولا مدخل وجعلت بواب قلبك ، وأعطيت سيف التوحيد والعظمة والجبروت ، فكل من رأيته دنا من ساحة صدرك إلى باب قلبك ندرت رأسه من كاهله فلا يكون لنفسك وهواك إرادتك ومنياك فى دنياك وأخراك عندك رأس امتثال ولا كلمة مسموعة ، لا أرى متبع إلا إتباع أمر الرب ﷻ ، والوقوف معه والرضا بقضائه وقدره ، بل الفناء فى قضائه وقدره ، فتكون عبد الرب ﷻ وأمره لا عبد الخلق وآرائهم فإذا استمر الأمر فيك كذلك ، ضربت حول قلبك سرادقات الغيرة وخنادقى العظمة وسلطان الجبروت ، وحف بجنود الحقيقة والتوحيد ، ويقام دون ذلك حراس من الحق ﷻ ، كيلا يخلص الخلق إلى ، تطلب القلب من الشيطان والنفس والهوى ، والإرادات والأمانى الباطلة ، والدعاوى الكاذبة الناشئة من الطباع والنفس الآمرة بالسوء ، والضلالات الناشئة من الهوى فحينئذ إن كان فى القدر مجئ الخلق وتواترهم إليك وتتابعهم وتطابقهم عليك ،

ليصيبوا من الأنوار اللائحة والعلامات المنيرة والحكم البالغة ، ويروا من الكرامات الظاهرة وخوارق العادة المستمرة ، ويزداد بذلك من القربات والطاعات والمجاهدات والمكايدات في عبادة ربهم ﷻ ، حفظت عنهم أجمعين وعن ميل النفس إلى هواها ، وعجبها ومباهاتها ، وتعاظمها بالتكبر بهم وبقبولهم لك وإقبال وجوههم إليك وكذلك إن قدر مجئ زوجة حسناء جميلة بكفايتها وسائر مؤنتها حفظت من شرها وحمل أثقالها وأتباعها وأهلها ، وصارت عندك موهبة مكفاة مهناة منقاة مصفاة من الغش والخبث والغل والحقد والغضب والخيانة في الغيب ، فتكون لك مسخرة ، وهي وأهلها محمولة عنك مؤنتها ، مدفوعة عنك أذيتها ، وإن قدر منها ولد كان صالحاً ذرية طيبة قرة عين . قال الله تعالى : **﴿ وأصلحنا له زوجه ﴾** وقال تعالى : **﴿ هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ﴾** وقال تعالى : **﴿ واجعله رب رضيا ﴾** فتكون هذه الدعوات التي في هذه الآيات معمولاً بها مستجابة في حقك إن دعوت بها أو لم تدع ، إذ هي في محلها وأهلها ، وأولى من يعامل بهذه النعمة ويقابل بها من كان أهلاً لهذه المنزلة ، وأقيم في هذا المقام وقدر له من الفضل والقرب هذا المقدار ، وكذلك إن قدر مجئ شئ من الدنيا وإقبالها لا يضر إذ ذاك ، فما هو قسمك منها فلابد من تناوله وتصفيته لك بفعل الله ﷻ ، وورود الأمر بتناوله وأنت ممتثل للأمر مثاب على تناوله ، كما تثاب على فعل صلوات الفرض وصيام الفرض ، وتؤمر فيما ليس بقسمك منها بصرفه إلى أربابه من الأصحاب والجيران والإخوان المستحقين الفقراء منهم وأصحاب الأقسام على ما يقتضي

الحال ، فالأحـوال تكشفها وتميزها . ليـس الخبـر كالمعاينـة ، فحينئذ تكون من أمرك على بيضاء نقية لا غبار عليها ولا تلبـيس ولا تخليط ولا شك ولا ارتياب ، فالصبر الصبر ، الرضا الرضا ، حفظ الحال حفظ الحال ، الخمول الخمـول ، الخمـود الخمـود ، السكوت السكـوت ، الصموت الصموت ، الحذر الحـذر ، النجـا النجا ، الوحـا الوحـا ، الله الله ثـم الله ، الإطـراق الإطـراق ، الإغماض الإغماض الحياء الحياء إن يبلغ الكتاب أجلـه ، فيؤخـذ بيدك فتقدم وينزع عنك ما عليك ثم تغوص فـي بحـار الفضـائل والمنن والرحمة ثم تخرج منها فتخلع عليـك الأنـوار والأسـرار والعلوم والغرائب المدنية ، ثم تقرب وتحدث فيه بـإعلام وإلهـام وتكلم وتعطى وتغنى وتشجع وترفع ، وتخاطب بـ **﴿ إنـك اليـوم لدينا مكين أمين ﴾** فحينئذ اعتبر حالة يوسف الصديق عليه السلام حـين خوطب بهذا الخطاب على لسان ملك مصر وعظيمها وفرعونهـا ، كان لسان الملك قائلاً معبراً بهذا الخطاب والمخاطب هـو الله عز وجل على لسان المعرفة ، سلم إليه المالك الظاهر وهو ملـك مصـر ، وملك النفس وملك المعرفة والعلم والقربـة والخصوصـية وعلـو المنزلة عنده عز وجل . قال تعالى فى ملك الملـك : **﴿ وكـذلك مكنـا ليوسف فى الأرض ﴾** أى فى أرض مصر **﴿ يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ﴾** قال تعـالى فى ملك النفس : **﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه مـن عبادنا المخلصين ﴾** وقال تعالى فى ملك المعرفة والعلم : **﴿ ذالكما مما علمنى ربى إنى تركـت ملـة قـوم لا يؤمنون بـالله وهـم بالآخـرة هم كافرون ﴾** فإذا خوطبت بهـذا الخطـاب يـا أيهـا

الصديق الأكبر ، أعطيت الحظ الأوفـر ، مـن العلـم الأعظـم ، ومنحت وهنيت بالتوفيق والمنن والقـدرة والولاية العامة ، والأمر النافذ على النفس وغيرها من الأشياء والتكوين ، بإذن إله الأشـياء فى الدنيا قبل الآخرة . وأما فى الأخرى فى دار السـلام والجنـة العليا ، فالنظر إلى وجه المولى الكريم زيادة ومنة ، وهـو المنـى الذى لا غاية له ولا منتهى ، والله الموفق لحقائق ذلك ، إنه رءوف رحيم .

المقالة السابعة والعشرون
فى أن الخـير والشـر ثمرتـان

قال رضى الله عنه وأرضاه : اجعل الخير والشر ثمـرتين مـن غصنين من شجرة واحدة ، أحد الغصنين يثمر حلوا والآخر مراً ، فاترك البلاد والأقاليم ونواحى الأرض التى يحمل إليها هذه الثمـار المأخوذة من هذه الشجرة ، وابعد منها ومن أهلهـا واقتـرب مـن الشجرة وكن سائسها وخادمها القائم عندها ، واعـرف الغصـنين والثمرتين والجانبين ، فكن إلى جانب الغصن المثمر حلواً ، فحينئذ يكون غذاؤك وقوتك منها ، واجتنب أن تقدم إلى جانـب الغصـن الآخر فتأكل من ثمرته فتهلك من مرارتها ، فإذا دمت علـى هـذا كنت فى دعة وأمن وراحة وسلامة من الآفات كلهـا ، إذ الآفـات وأنواع البلايا تتولد من تلك الثمرة المرة ، وإذا غبـت عـن تلـك الشجرة وهمت فى الآفاق وقدم بين يديك من تلك الثمـرتين وهـى مخلطة غير متميزة الحلوة من المرة هنا فتناولـت منهـا ، فربمـا

وقعت يدك على المرة فأدنيتها من فيك فأكلت منها جزءاً ومضغته ، فسرت المرة إلى أعماق لهواتك وباطن حلقك وخياشيمك ، فعملت فيك وسرت فى عروقك وأجزاء جسدك فهلكت بها ، ولفظك الباقى من فيك وغسل أثره لا ينفع ولا يدفع عنك ما قد سرى فى جسدك ولا ينفعك ، وإن أكلت ابتداء من الثمرة الحلوة وسرت حلاوتها فى أجزاء جسدك وانتفعت بها وسررت فلا يكفيك ذلك ، فلابد تتناول غيرها ثانياً ، فلا تأمن أن تكون الثانية من المرة فيحل بك ما ذكرته لك ، فلا خير فى البعد عن الشجرة والجهل بثمرتها والسلامة فى قربها والقيام معها ، فالخير والشر بفعل الله ﷻ ، والله هو فاعلهما ومجريهما . قال الله ﷻ : ﴿ **والله خلقكم وما تعملون** ﴾ . وقال النبى ﷺ : (الله خلق الجازر وجزوره) وأعمال العباد خلق الله ﷻ وكسبهم . قال تعالى : ﴿ **ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** ﴾ سبحانه ما أكرمه وأرحمه أضاف العمل إليهم وأنهم استحقوا الدخول إلى الجنة بعملهم ، وهو بتوفيقه ورحمته لهم فى الدنيا والآخرة .

قال ﷺ : (لا يدخل الجنة أحد بعمله ، فقيل له ولا أنت يا رسول الله ؟ فقال : ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته ووضع يده على رأسه) مروى ذلك فى حديث عائشة رضى الله عنها ، فإذا كنت طائعاً لله ﷻ ممتثلاً لأمره منتهياً لنهيه مسلماً له فى قدره ، حماك عن شره وتفضل عليك بخيره وحماك عن الأسواء جميعها ديناً ودنيا . **أما دنيا** : فقوله تعالى : ﴿ **كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين** ﴾ **وأما ديناً** فقوله ﷻ : ﴿ **ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله**

شاكراً عليما ﴾ مؤمن شاكر ما يفعل البلاء عنده وهو إلى العافية أقرب من البلاء ، لأنه فى حمل المزيد أيضاً لأنه شاكر . قال الله ﷻ : ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم** ﴾ فإيمانك يطفئ لهب النار فى الآخرة التى هى عقوبة كل عاص ، فكيف لا يطفئ نار البلايا فى الدنيا ؟ اللهم إلا أن يكون العبد من المجذوبين المختارين للولاية والاصطفاء والاجتباء ، فلابد من البلاء ليصفى به من خبث الهوى والميل إلى الطباع ، والركون إلى شهوات النفس ولذاتها ، والطمأنينة إلى الخلق والرضا بقربهم ، والسكون إليهم والثبوت معهم والفرح بهم ، فيبتلى حتى يذوب جميع ذلك ، ويتنظف القلب بخروج الكل ، ويبقى توحيد الرب ﷻ ومعرفته وموارد الغيب من أنواع الأسرار والعلوم وأنوار القرب ، لأنه بيت لا يسعه اثنان ، قال الله ﷻ : ﴿ **ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة** ﴾ فأخرجوا الأعزة عن طيب المنازل ونعيم العيش ، وكانت الولاية على القلب للشيطان والهوى والنفس والجوارح متحركة بأمرهم من أنواع المعاصى والأباطيل والترهات فزالت تلك الولاية فسكنت الجوارح وفرغت دار الملك التى هى القلب وتنظفت الساحة التى هى الصدر . فأما القلب فصار مسكيناً للتوحيد والمعرفة والعلم . وأما الساحة فمهبط الموارد والعجائب من الغيب ، كل ذلك نتيجة البلايا وثمراتها ، قال النبى ﷺ : (إنا معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل) وقال ﷺ : (أنا أعرفكم بالله وأشدكم منه خوفاً) فكل من قرب من الملك اشتد خطره وحذره ، لأنه فى مرأى من الملك لا يخفى عليه تصاريفه وحركاته .

فــإن قلــت : فالخــليقة عنــد الله ﷻ بأجمعهم كشخص واحـــد لا يخفى عليــه منهم شئ ، فأى فائدة لهذا الكلام ؟

فنقول لك : لما علت منزلته وشرفت رتبته عظم خطره ، لأنــه وجب عليه شكر ما أولاه من جسيم نعمه وفضله فأدنى الالتفات عن خدمتــه تقضبر فى شكره وذلك نقصان فى طاعته . قال الله ﷻ : **﴿ يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ﴾** قال ذلك لهن لتمام نعمه ﷻ عليهن باتصالهن بالنبى ﷺ فكيف من كــان مواصلاً بالله ﷻ وقربه ، تعالى الله علواً كبيــراً عن التشبيه بخلقه **﴿ ليس كمثله شئ وهو السميع البصــير ﴾** والله الهادى .

المقالة الثامنة والعشرون
فى تفصيل أحــوال المريــد

قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه : أتريد الراحــة والســرور والدعة والحبور ، والأمن والسكون والنعيم والدلال وأنت بعد فــى كير السبك والتذويب وتمويت الــنفس ومجانبــة الهــوى وإزالــة المرادات والأعواض دنيا وأخرى وقد بقيت فيك بقيــة مــن ذلــك ظاهرة لائحة ؟ على رسلك يا مستعجل مهلاً مهلا ، يــا مترقــب الباب مسدود إلى ذلك ، وقد بقيت عليك منــه وفيــك ذرة ومنــه والمكاتب عبد مابقى عليه درهم ، أنت مصدود عن ذلك مــا بقــى عليك من الدنيا مقدار مص نواة ، والدنيا هواك ومرادك ، ورؤيتك بشئ من الأشياء أو طلبك بشئ من الأشياء وتشوق نفسك إلى شــئ

من الأعواض دنيا وأخرى ، فما دام فيك شئ من ذلك فأنـت فـي باب الإفناء ، فاسكن حتى يحصل الفناء علـى التمـام والكمـال ، فتخرج من الكبر وتكمل صياغتك وتجلى وتكسى وتطيب وتبخـر ، ثم ترفـع إلى الملك الأكـبر فتخاطب : ﴿ **إنك اليوم لدينا مكـين أمين** ﴾ فتؤانس وتلاطف ، وتطعم من الفضل ومنه وتسقى وتقرب وتدنى وتطلع على الأسرار وهى عنك لا تخفى فتغنى بما تعطـى من ذلك عن جميع الأشياء . ألا ترى إلى قراضة الـذهب متفرقـة مبتذلة متداولة غادية رائحة فى أيدى العطارين والبقالين والقصابين والدباغين والنقاطين والكناسين والكفافين أصحاب الصنائع النفيسـة والرذيلة الدنية الخبيثة ، ثم تجمع فتجعل فى كير الصـائغ فتـذوب هناك بإشعال النار عليها ، ثم تخرج منه فتطرق وترقـق وتطلـع وتصاك فتجعل حلياً ، ثم تجلى وتطيب فتترك فى خيـر المواضـع والأمكنة من وراء الأخلاق فى الخـزائن والصـناديق والأحقـاق وتحلى بها العروس وتزين وتكرم ، وقد تكـون العـروس للملـك الأعظم فتنقل القراضة من هذه إلى قرب الملك ومجلسه بعد السبك والدق ، هكذا أنت يا مؤمن إذا صبرت على مجارى الأقدار فيـك ورضيت بالقضاء فى جميع الأحوال قربت إلى مـولاك ﷻ فـى الدنيا ، فتنعم بالمعرفة والعلوم والأسرار ، وتسكن فى الآخـرة دار السلام مع الأنبـياء والصديقـين والشهداء والصالحين فى جـوار الله وداره وقربـه ﷻ ، فاصـبر ولا تستعجل ، وارض بالقضاء ولا تتهم ، فسينالك برد عفو الله ولطفه وكرمه بمنه تعالى .

*****

المقالة التاسعة والعشرون
فى قوله ﷺ (كاد الفقر أن يكون كفراً)

قال رضى الله عنه وأرضاه : يؤمن العبد بالله ويسلم الأمور كلها إليه ﷻ ، ويعتقد تسهيل الرزق منه ، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، ويؤمن بقوله ﷻ : **﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾** ويقول ذلك ويؤمن به وهو فى حال العافية والفناء ثم يبتليه الله ﷻ بالبلاء والفقر فيأخذ فى السؤال والتضرع فلا يكشفهما عنه ، فحينئذ يتحقق قوله ﷺ : (كاد الفقر أن يكون كفراً) فمن تلطف الله به كشف عنه ما به فأدركه بالعافية والغنى ويوفقه للشكر والحمد والثناء ويديم له ذلك إلى اللقاء ومن يرد الله فتنته يديم بلاءه وفتنته وفقره فيقطع عنه مدد إيمانه فيكفر بالاعتراض والتهمة له ﷻ والشك فى وعده فيموت كافراً بالله ﷻ جاحداً لآياته ومسخطاً على ربه ، وإليه أشار رسول الله ﷺ بقوله : (إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل جمع الله له بين الدنيا وعذاب الآخرة) نعوذ بالله من ذلك وهو الفقر المنسى الذى استعاذ منه ﷺ ، والرجل الثانى هو الذى أرادا الله ﷻ اصطفاءه واجتباءه وجعله من خواصه وأحبابه وأخلائه وورث أنبيائه وسيد أوليائه ، ومن عظماء عباده وعلمائهم وحكمائهم وشفائهم وشيخهم ومتبوعهم ومعلمهم وهاديهم إلى مولاهم ، ومرشدهم إلى سبيل الهدى واجتناب سبل الردى ، فأرسل إليه جبال الصبر وبحار

الرضى والموافقة والغنى فى قضائه وفعله ، ثــم يدركــه بجزيــل العطاء ويدعو الله فى آناء الليل وأطراف النهار فى الجلوة والخلوة فى الظاهر مرة وفى الباطن أخرى بأنواع اللطف وفنون الجــذبات فيتصل له ذلك إلى حين اللقاء ، والله الهادى .

المقالة الثلاثون فى النهى عن قــول الرجــل أى شئ أعمل وما الحيلة

قــال رضى الله عنه وأرضاه : وأكــثر ما تقــول إيــش أعمل وما الحيلة ، فيقال لك قف مكانك ولا تجاوز حدك حتى يأتيك الفرج ممن أمرك بالقيام فيما أنت فيه . قال الله ﷻ : ﴿ **يا أيهــا الــذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾ أمرك بالصبر يا مؤمن ، ثم بالمصابرة والمرابطة والمحافظة والملازمــة ثم حذرك تركه فقــال ﴿ **واتقوا الله** ﴾ فى ترك ذلك : أى لا تتركوا الصبر فإن الخــير والسلامة فيه ، وقال النبى ﷺ : (الصبر مــن الإيمان كالرأس من الجســد) وقيــل : كــل شــئ ثوابه بمقــدار إلا ثواب الصبر فإنه جزاف بغير مقــدار ، لقوله تعالى : ﴿ **إنمــا يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ فإذا اتقيت الله ﷻ حفظــك للصبر ومحافظة الحــدود وأنجز لك ما وعــدك فى كتابــه وهــو قوله ﷻ : ﴿ **ومن يتــق الله يجعل لــه مخرجــا ويرزقــه مــن حيث لا يحتسب** ﴾ وكنت بصبرك حتى يأتيك الفرج من المتــوكلين وقد وعدك الله ﷻ بالكفاية فقال : ﴿ **ومن يتوكل علــى الله فهــو حسبه** ﴾ وكنت مع صبرك وتوكلك من المحسنين ، وقــد وعــدك

بالجزاء فقال ﷻ : ﴿ **وكذلك نجزى المحسنين** ﴾ ويحبك الله مع ذلك ، لأنه قال : ﴿ **إن الله يحب المحسنين** ﴾ فالصبر رأس كل خير وسلامة دنيا وأخر ، ومنه يترقى المؤمن إلى حالة الرضا والموافقة ، ثم الفناء فى أفعال الله ﷻ حالة البدلية والغيبية ، فاحذر أن تتركه فيخذلك فى الدنيا والآخرة ويفوتك خيرهما ، نعوذ بالله من ذلك .

المقالة الحادية والثلاثون فى البغض فى الله

قال رضى الله عنه وأرضاه : إذا وجدت بقلبك بغض شخص أو حبه فاعرض أعماله على الكتاب والسنة ، فإن كانت فيهما مبغوضة فأبشر بموافقتك الله ﷻ ورسوله ، وإن كانت أعماله فيهما محبوبة وأنت تبغضه فأعلم بأنك صاحب هوى تبغضه بهواك ، ظالماً له ببغضك إياه وعاص لله ﷻ ولرسوله مخالف لهما ، فتب إلى الله ﷻ من بغضك وأسأله عز وجل محبة ذلك الشخص وغيره من أحبائه وأوليائه وأصفيائه والصالحين من عباده ، لتكون موافقاً له ﷻ ، وكذلك أفعل بمن تحبه يعنى أعرض أعماله على الكتاب والسنة ، فإن كانت محبوبة فيهما فأحببه ، وإن كانت مبغوضة فابغضه كيلا تحبه بهواك وقد أمرت بمخالفة هواك . قال ﷻ : ﴿ **ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله** ﴾ .

*****

المقالة الثانية والثلاثون
فى عدم المشاركة فى محبة الحق

قال رضى الله عنه وأرضاه : ما أكثر ما تقول كل من أحبه لا تدوم محبتى إياه فيحال بيننا إما بالغيبة أو بالموت أو بالعداوة وأنواع المال بالتلف والفوات من اليد ، فيقال لك : أما تعلم يا محبوب أنه تجمعت فيه إرادة كسرها فعل الله وغيرته ، فضربت حوله سرادقات العظمة والجبروت والهيبة ، وأحضرت من دونها خنادق الكبرياء والسطوة ، فلم يخلص إلى القلب إرادة شئ من الأشياء ، فحينئذ لا يضر القلب الأسباب من المال والولد والأهل والأصحاب والكرامات والحكم والعلم والعبادات ، فإن جميع ذلك يكون خارج القلب فلا يغار الله ﷻ بل يكون جميع ذلك كرامة من الله لعبده ولطفاً به ونعمة ورزقاً ومنفعة للواردين عليه ، فيكرمون به ويرحمون ويحفظون لكرامته على الله ﷻ ، فيكون خفيراً لهم وكنفاً وحرزاً وشفيعاً دنيا وأخرى .

*****

المقالة الثالثة والثلاثون
تقسيم الرجال إلى أربعة أقسـام

قال رضى الله عنه وأرضاه : الناس أربعة رجال :

(رجل) لا لسان له ولا قلب وهو العاصى الغر الغبى لا يعبـأ الله به ، لا خير فيه ، وهو وأمثاله حثالة لا وزن لهم إلى أن يعمهم الله ﷻ برحمته ، فيهدى قلوبهم للإيمان بـه ويحـرك جـوارحهم بالطاعة له ﷻ ، فاحذر أن تكون منهم ، ولا تكترث بهم ولا تقـم فيهم فإنهم أهل العذاب الحق المعنى المنظور إليه المغار له وعليه . ألم تعلم أن الله ﷻ غيـور ، خلقك لـه وتروم أن تكون لغـيره ؟ أما سمعت قولـه ﷻ : **﴿ يحبهم ويحبـونه ﴾** وقولـه تعـالى : **﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾** أما سمعت قول الرسول ﷺ : (إذا أحب الله عبداً ابتلاه ، فإن صبر اقتناه . قيل : يا رسول الله وما اقتناه ؟ قال : لم يذر له مالاً ولا ولداً) وذلك لأنه إذا كـان له مال وولد أحبهما فتنقص وتجزى ، فتصير مشتركة بين الله ﷻ وبين غيره ، والله تعالى لا يقبل الشريك ، وهو غيور قاهر ، فوق كل شئ ، فيهلك شريكه ويعدمه ليخلص قلب عبده لـه مـن غيـر شريك ، فيتحقق حينئذ قوله ﷻ **﴿ يحبهم ويحبونـه ﴾** حتـى إذا تنظف القلب من الشركاء والأنداد من الأهل والمال والولد واللذات والشهوات وطلب الولد والرياسات والكرامات والحالات والمنـازل والمقامات والجنـات والدرجات والقربـات والزلفات فلا يبقى فى القلب إرادة ولا أمنية ، يصير كالإنـاء المنثلم الـذى لا يثبت فيـه

مائع لأنه انكسر لفعل الله ﷻ كلما ، والغضب والسخط سكان النار وأهلها ، نعوذ بالله ﷻ منهم ، إلا أن تكون من العلماء بالله ﷻ ومن معلمى الخير وهداة الدين وقواده ودعاته ، فدونك فإنهم وادعهم إلى طاعة الله ﷻ ، وحذرهم معصيته فتكتب عند الله جهبذا ، فتعطى ثواب الرسل والأنبياء ، قال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه : (**لأن** يهدى الله بهداك رجلاً خير لك مما طلعت عليك الشمس) .

(**الرجل الثانى**) رجل له لسان بلا قلب فينطق بالحكمة ولا يعمل بها ، يدعو الناس إلى الله وهو يفر منه ﷻ ، يستقبح عيب غيره ويدوم هو على مثله فى نفسه ، يظهر للناس تنسكاً ويبارز الله ﷻ بالعظائم من المعاصى ، إذا خلا كأنه ذئب عليه ثياب ، وهو الذى حذر منه النبى ﷺ بقوله : (أخوف ما أخاف على أمتى من كل منافق عليم اللسان) . وفى حديث آخر : (أخوف ما أخاف على أمتى من علماء السوء) . نعوذ بالله من هذا ، فابعد منه وهرول ، لئلا يختطفك بلذيذ لسانه فتحرقك نار معاصيه ، ويقتلك فتن باطنه وقلبه .

(**والرجل الثالث**) قلب بلا لسان ، وهو مؤمن ستره الله ﷻ من خلقه ، وأسبل عليه كنفه ، وبصره بعيوب نفسه ، ونور قلبه ، وعرفه غوائل مخالطة الناس وشؤم الكلام والنطق ، وتيقن أن السلامة فى الصمت والانزواء والانفراد ، واسمع قول النبى ﷺ : (من صمت نجا) واسمع قول بعض العلماء : العبادة عشر أجزاء ، تسعة منها فى الصمت ، فهذا رجل ولى الله ﷻ ، فى ستر الله محفوظ ذو سلامة وعقل وافر ، جليس الرحمن منعم

عليه ، فالخير كل الخير عنده ، فدونكــه ومصــاحبته ومخالطتــه وخدمته والتحبب إليه بقضاء حوائج تسنح له ومرافق يرتفق بهــا ، فيحبك الله ويصطفيك ، ويدخلك فى زمرة أحبائه وعباده الصالحين ببركته إن شاء الله تعالى .

(والرجل الرابع) المدعو فى الملكوت العظيم كمــا جــاء فــى الحديث عن النبى ﷺ : (من تعلم وعلم ، وعمل دعى فى الملكوت عظيماً) وهو العالم بالله ﷻ وآياته ، استودع الله ﷻ قلبه غرائب علمه ، وأطلعه على أسرار طواها عن غيره ، واصطفاه واجتبــاه وجذبه إليه ورقاه ، وإلى باب قربه هداه ، وشرح صدره لقبول تلك الأسرار والعلوم ، وجعله جهبذاً وداعياً للعباد ونذيراً لهــم وحجــة فيهم ، هادياً مهدياً شافعاً مشفعاً صادقاً صديقاً ، بدلاً لرسله وأنبيائه عليهم صلواته وسلامه وتحياته وبركاته .

فهذه هى الغــاية القصوى فى بنى آدم ، لا منزلة فوق منزلتــه إلا النبوة ، فعليك به واحذر أن تخالفه وتنــافره وتجنبــه وتعاديــه وتترك القبول منه والرجوع إلى نصيحته وقوله : فإن السلامة فيما يقول عنده ، والهــلاك والضلال عند غــيره إلا من يوفقـــه الله ﷻ ويمده بالسداد والرحمة .

فقد قسمت لك الناس ، فانظر لنفسك إن كنت ناظراً ، واحتــرز لها إن كنت محترزاً لها شفيقاً عليها ، هدانا الله وإياك لمــا يحبــه ويرضاه .

* * * * *

المقالة الرابعة والثلاثون
فى النهى عن السخط على الله تعالى

قال رضى الله عنه وأرضاه :

ما أعظم تسخطك على ربك وتهمتك له ﷻ ، واعتراضك عليه وانتسابك لــه ﷻ بالظــلم ، واستــبطائك فــى الــرزق والغنــى وكشــف الكــروب والبلوى ، أمـــا تعـــلم أن لكـــل أجـــل كتــاب ، ولكــل زيــادة بليــة وكربــة غايــة منتهى ونفـــاد ، لا يتقـدم ذلك ولا يتــأخر ، أوقــات البــلايا لا تقلــب فتصــير عوافى ووقــت البــؤس لا ينقلب نعيمه ، وحالة الفقر لا تستحــيل غنى .

أحسن الأدب والزم الصمت والصبر والرضا والموافقة لربك ﷻ ، وتب عن تسخطك عليه وتهمتك له فى فعله ، فليس هنالك اســتيفاء وانتقام من غير ذنب ، ولا عرض على الطبع كما هو فـــى حـــق العبيد بعضهم فى بعض ، هــو ﷻ منفرد بالأزل وسبق الأشياء ، خلقها وخلق مصالحها ومفاسـدها وعلـــم ابتــداءها وانتهاءهـــا وانقضاءها ، وهو ﷻ حكيم فى فعله متقن فى صنعه لا تنـــاقض فى فعلـــه ، لا يفعل عبــثاً ولا يخلــق باطلاً لعبــاً ، ولا تجــوز عليه النقائص ولا اللوم فى أفعاله ، فانتظر الفرج حتى إن عجزت عن موافقته وعن الرضا والغنى فى فعله حتى يبلغ الكتاب أجلـــه ، فتسفر الحالة عن ضدها بمرور الزمان وانقضاء الآجـــال ، كمـــا ينقضى الشتاء فيسفر عن الصيف ، وينقضى الليــل فيســفر عـــن

النهار ، فـإذا طلبت نـور ضوء النهار ونـوره بيـن العشـاءين لم تعطه ، بل يزداد فى ظلمة الليل حتى إذا بلغت الظلمـة غايتهـا وطلع الفجر وجـاء النهار بضوئه طلبت ذلك وأردته وسكت عنـه وكرهته ، فإن طلبت إعادة الليل حينئذ لم تجب دعوتك ولم تعطـه لأنك طلبت الشئ فى غير حينه ووقتـه فتبقـى حسـيراً منقطعـاً متسخطاً خجلاً ، فأرخ هذا كله وألزم الموافقـة وحسـن الظـن بربـك ﷻ والصبر الجميل ، فمـا كان لك لا تسلبه ، وما ليـس لك لا تعطاه . لعمرى إنـك تدعـو وتبتهل إلى ربك ﷻ بالدعاء والتضرع وهو عبادة وطاعة امتثالاً لأمره ﷻ فى قولـه تعالى : ﴿ **ادعونى أستجب لكم** ﴾ وقولـه تعـالى : ﴿ **واسـألوا الله مـن فضله** ﴾ وغير ذلك من الآيات والأخبار ، أنت تدعو وهو يستجيب لك عند حينه وأجله إذا أراد وكان لك فى ذلك مصلحة فى دنيـاك وأخراك ويوافق فى ذلك قضاءه وانتهاء أجله ، لا تتهمه فى تأخير الإجابة ولا تسـأم من دعائه ، فإنك إن لم تربح لم تخـسر ، وإن لم يجبك عاجلاً أثابك آجلاً ، فقـد جاء فى الحديث الصحيح عـن النبى ﷺ : (والعبد يرى فى صحائفه حسنات يوم القيامة لا يعرفها فيقال له إنها بدل سؤالك فى الدنيا الذى لم يقدر قضاؤه فيهـا) أو كما ورد ثم أقل أحـوالك أنك تكون ذاكراً لربك ﷻ موحـداً لـه حيث تسأله ولا تسأل أحداً غيره ، ولا تترك حاجتك لغيره تعالى ، فأنت بين الحالتين فى زمانك كله ليلك ونهارك وصـحتك وسـقمك وبؤسك ونعمائك وشدتك ورخائك ، وإما أن تمسك عن السـؤال ، وترضى بالقضاء وتوافق وتسترسل لفعله ﷻ ، كالميت بين يـدى الغاسل ، والطفل الرضيع فى يدى الظئر ، والكرة بين يدى الفارس

يقلبها بصولجانه ، فيقلبك القدر كيف يشاء ، إن كان النعماء فمنك الشكر والثناء ومنه ﷻ المزيد فى العطاء ، كما قال تعالى : ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم** ﴾ وإن كان البأساء فالصبر والموافقة منك بتوفيقه والتثبت والنصرة والصلاة والرحمة منه ﷻ بفضله وكرمه كما قال عز من قائل : ﴿ **إن الله مع الصابرين** ﴾ بنصره وتثبيته ، وهو لعبده ناصر له على نفسه وهواه وشيطانه . وقال تعالى : ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾ إذا نصرت الله فى مخالفة نفسك وهواك بترك الاعتراض عليه والسخط بفعله فيك وكنت خصماً لله على نفسك سياقاً عليها كلما تحركت بكفرها وشركها حززت رأسها بصبرك وموافقتك لربك والطمأنينة إلى فعله ووعده والرضا بهما كان ﷻ لك معيناً وأما الصلاة والرحمة ، فقوله ﷻ : ﴿ **وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾ والحالة الأخرى أنك تبتهل إلى ربك ﷻ بالدعاء والتضرع إعظاماً له وامتثالاً لأمره ، وفيه وضع الشئ فى موضعه ، لأنه ندبك إلى سؤاله والرجوع إليه ، وجعل ذلك مستراحاً ورسولاً منك إليه وموصلة ووسيلة لديه بشرط ترك التهمة والسخط عليه عند تأخير الإجابة إلى حينها ، اعتبر ما بين الحالتين ولا تكن ممن تجاوز عن حديهما ، فإنه ليس هناك حالة أخرى ، فاحذر أن تكون من الظالمين المعتدين فيهلكك ﷻ ولا يبالى كما أهلك من مضى من الأمم السالفة فى الدنيا بتشديد بلائه وفى الآخرة بأليم عذابه .

*****

المقالة الخامسة والثلاثون
فى الـــورع

قال رضى الله عنه وأرضاه : عليك بالورع وإلا فـــالهلاك فـــى زيقك ملازم لك لا تنجو منه أبدا إلا أن يتغمدك الله تعالى برحمته ، فقد ثبت فى الحديث المروى عن النبى ﷺ أنه قـــال : (إن مـــلاك الدين الورع ، وهلاكه الطمع ، وإن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، كالراتع إلى جنب الزرع يوشك أن يمد فاه إليه لا يكاد أن يسلم الزرع منه) وعن أبى بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : كنا نتـــرك سبعين باباً من المباح مخافة أن نقـــع فى الجنـــاح . وعـــن أميـــر المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : كنا نترك تسعة أعشـــار الحلال مخافة أن نقع فى الحرام ، فعلوا ذلك تورعاً فـــى مقاربـــة الحرام أخذاً بقول النبى ﷺ : (لكل ملك حمـــى) وإن حمـــى الله محارمه ، فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، فمـــن دخـــل حصن الملك فجاز الباب الأول ثم الثانى والثالث حتى قـــرب مـــن سدته خير ممن وقف على الباب الأول الذى يلى البـــر ، فإنـــه إن أغلق عنه غلق الباب الثالث لم يضره وهو من وراء بـــابين مـــن أبواب القصر ومن دونه حراس الملك وجنده ، وأما إذا كان علـــى الباب الأول فأغلقوا عنه بقى فى البر وحده فأخذته الذئاب والأعداء وكان من الهالكين ، فهكذا من سلك العزيمة ولازمهـــا : إن ســـلب عنه مـــدد التوفيق والرعاية وانقطعت عنـــه حصل فى الـــرخص ولم يخرج عن الشرع : فإذا أدركته المنيـــة كـــان علـــى العبـــادة

والطاعة ويشهد له بخير العمل ، ومن وقف على الرخص ولم يتقدم إلى العزيمة إن سلب عنه التوفيق فقطعت عنه أمداده فغلب الهوى عليه وشهوات النفس ، فتناول الحرام يخرج من الشرع فصار فى زمرة الشياطين أعداء الله ﷻ الضالين عن سبل الهدى ، فإن أدركته المنية قبل التوبة كان من الهالكين إلا أن يتغمده الله تعالى برحمته وفضله ، فالخطر فى القيام مع الرخص ، والسلامة كل السلامة مع العزيمة ، والله الهادى إلى سواء الطريق .

المقالة السادسة والثلاثون
فى بيان الدنيا والآخرة وما ينبغى أن يعمل فيهما

قال رضى الله عنه وأرضاه : اجعل آخرتك رأس مالك ودنياك ربحه ، واصرف زمانك أولاً فى تحصيل آخرتك . ثم إن فضل من زمانك شئ اصرفه فى دنياك وفى طلب معاشك ، ولا تجعل دنياك رأس مالك وآخرتك ربحه . ثم إن فضل من الزمان فضلة صرفتها فى آخرتك تقتضى فيها الصلوات تسبكها سبيكة واحدة ساقطة الأركان ، مختلفة الواجهات من غير ركوع وسجود وطمأنينة بين الأركان ، أو يلحقك التعب والإعياء فتنام عن القضاء جملة ، جيفة فى الليل بطالاً فى النهار تابعاً لنفسك وهواك وشيطانك ، وبائعاً آخرتك بدنياك عند النفس ومطيتها ، أمرت بركوبها وتهذيبها ورياضتها والسلوك بها فى سبيل السلامة وهى طرفة الآخرة وطاعة مولاها ﷻ فظلمتها بقبولك منها وسلمت زمامها إليها وتبعتها فى شهواتها ولذاتها وموافقتها وشيطانها وهواها ففاتك خير

الدنيا والآخرة وخسرتهما فدخلت القيامة أفلس الناس وأخسرهم ديناً ودنيا ، وما وصلت بمتابعتها إلى أكثر من قسمك من دنياك ، ولو سلكت بها طريق الآخرة وجعلتها رأس مالك ربحت الدنيا والآخرة ووصل إليك قسمك من الدنيا هنيئاً مريئاً وأنت مصون مكرم كما قال النبى ﷺ (إن الله يعطى الدنيا على نية الآخرة ولا يعطى الآخرة على نية الدنيا) وكيف لا يكون كذلك ونية الآخرة هى طاعة الله لأن النية روح العبادات وذاتها .

وإذا أطعت الله بزهدك فى الدنيا أو طلبك دار الآخرة كنت من خواص الله ﷻ وأهل طاعته ومحبته ، وحصلت لك الآخرة وهى الجنة وجوار الله ﷻ وخدمتك الدنيا فيأتيك قسمك الذى قدر لك منها ، إذ الكل تبع لخالقها ومولاها وهو الله ﷻ ، وإن اشتغلت بالدنيا وأعرضت عن الآخرة غضب الرب عليك ففاتتك الآخرة وتعاصت الدنيا عليك وتعسرت وأتعبتك فى إيصال قسمك إليك لغضب الله ﷻ عليك لأنها مملوكته ، تهين من عصاه وتكرم من أطاعه فيتحقق حينئذ قوله ﷺ (الدنيا والآخرة ضرتان ، إن أرضيت إحداهما أسخطت عليك الأخرى) قال تعالى : ﴿ **منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة** ﴾ يعنى به أبناء الآخرة ، فانظر من أبناء أيهما أنت ؟ ومن أى القبيلتين تحب أن تكون وأنت فى الدنيا ؟ ثم إذا صرت إلى الآخرة فالخلق فريقان فريق فى طلب الدنيا وفريق فى طلب الآخرة ، وهم أيضاً يوم القيامة فريقان (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) فريق فى الموقف قيام فى طول الحساب فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون كما قال تعالى ، وفريق فى ظل العرش كما أخبر النبى ﷺ (إنكم

تكونون يوم القيامة فى ظل العرش عاكفون على الموائد ، عليهـا أطايب الطعام والفواكه والشهد أبيض من الثلج) كمـا جـاء فـى الحديث (وينظرون منازلهم فى الجنة حتى إذا فرغ مـن حسـاب الخلق دخلوا الجنة ، يهتدون إلى منازلهم كما يهتدى أحد الناس فى الدنيا إلى منزله) فهل وصلوا إلى هذه إلا بتركهم الدنيا واشـتغالهم بطلب الآخرة والمولى . وهل وقع أولئك الحساب وأنواع الشـدائد والذل إلا لاشتغالهم بالدنيا ورغبتهم فيها وزهدهم فى الآخرة وقلـة المبالاة بأمرها ونسيان يوم القيامة وما سيصيرون إليه غداً مما ذكر فى الكتاب والسنة .

فانظر لنفسك نظر رحمة وشفقة ، واختر لهـا خيـر القبيلتـين وأفردها عن أقوال السوء من شياطين الإنـس والجـن ، واجعـل الكتاب والسنة أمامك وانظر فيهما واعمل بهما ، ولا تغتر بالقـال والقيل والهوس . قـال الله تعالى : ﴿ **وما آتاكم الرسـول فخـذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله** ﴾ ولا تخالفوه فتتركوا العمل بما جاء به وتخترعوا لأنفسكم عملاً وعبادة كما قال ﷻ فى حق قـوم ضلوا سـواء السبيل ﴿ **ورهبانية ابتدعوها ما كتبناهـا علـيهم** ﴾ الآية ، ثم إنه زكى هو ﷻ نبيه ﷺ ونزهه عن الباطـل والـزور فقـال ﷻ ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يـوحى** ﴾ أى ما آتاكم به فهو من عنـدى لا من هواه ونفسه فاتبعوه ، ثـم قـال تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله** ﴾ فبـين أن طريق المحبة إتباعه قولاً وفعلاً ، فالنبى عليه الصلاة والسلام قال (الاكتساب سنتى ، والتوكل حالتى) أو كما قال ، فأنت بين سـنته وحالته وإن ضعف إيمانك فالتكسب الذى هو سنته وإن قوى إيمانك

فحالته التى هى التوكل قال الله تعالى : ﴿ **وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **إن الله يحب المتوكلين** ﴾ فقد أمرك بالتوكل ونبهك عليه كما أمر نبيه ﷺ فى قوله (وتوكل على الله) فاتبع أوامر الله ﷻ فى سؤاله فى أعمالك فهى مردودة عليك قال النبى ﷺ (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) هذا يعلم طلب الرزق والأعمال والأقوال ، ليس لنا نبى غيره فنتبعه ولا كتاب غير القرآن فنعمل به ، فيضلك هواك والشيطان . قال الله تعالى : ﴿ **ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله** ﴾ فالسلامة مع الكتاب والسنة ، والهلاك مع غيرهما ، وبهما يترقى العبد إلى حالة الولاية والبدلية والغوثية ، والله أعلم .

المقالة السابعة والثلاثون فى ذم الحسد والأمر بتركه

قال رضى الله عنه وأرضاه : مالى أراك يا مؤمن حاسداً لجارك فى مطعمه ومشربه وملبسه ومنكحه ومسكنه وتقلبه فى غناه ونعم مولاه ﷻ وقسمه الذى قسم له ؟ أما تعلم أن هذا مما يضعف إيمانك ويسقطك من عين مولاك ﷻ ويبغضك إليه ؟ أما سمعت الحديث المروى على النبى ﷺ أنه قال (قال الله تعالى فى بعض ما تكلم به : الحسود عدو نعمتى) وما سمعت قول النبى ﷺ (إن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) ثم على أى شئ تحسده يا مسكين ؟ أعلى قسمه أم على قسمك ؟ فإن حسدته على

قسمه الذى قسمه الله فى قولــه تعالى : **﴿ نحــن قســمنا بيــنهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ﴾** فقــد ظلمته ، رجل يتقلب فــى نعمــة مولاه التى تفضل بها عليه وقدرها لــه ولم يجعل لأحد فيها حظــاً ولا نصيباً ، فمن يكون أظلم وأبخل وأرعن وأنقص عقــلاً منــك ؟ وإن حســدته على قسمك فقد جهلت غايــة الجهل ، فــإن قســمك لا يعطى غيرك ولا ينتــقل منك إليه ، حــاش لله . قال الله ﷻ : **﴿ ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد ﴾** إن الله ﷻ لا يظلمك فيأخذ ما قسم وقــدر لك فيعطى غيرك ، فهذا جهل منــك وظلــم لأخيك ، ثم حسدك للأرض التى هى معدن الكنوز والــذخائر مــن أنواع الذهب والفضة والجواهر مما جمعته الملوك المتقدمة من عاد وثمود وكسرى وقيصر أولى من حسدك لجارك المؤمن أو الفاجر ، فإن ما فى بيته لا يكــون جزءاً من أجزاء ألف ألف جــزء ممــا هناك ، فما حسدك لجارك إلا كمثل رجل رأى ملكاً مــع ســلطانه وجنوده وحشمه وملكه وعلى أراضى واجباته خراجها وارتفاعهــا لديه وتنعمه بأنواع النعم واللذات والشهوات فلم يحسده على ذلك ثم رأى كلباً برياً يخدم كلباً من كلاب ذلك الملك يقوم ويقعد ويصــيح فيعطى من مطبخ الملك بقايا الطعام ورداءته فيتقــوت بــه فأخــذ يحسده ويعاديه ويتمنى موته وهلاكه وكونه مكانه وأن يخلفــه فــى ذلك خسة ودناءة لا زهداً وديناً وقناعة ، فهل يكون فــى الزمــان رجل أحمق منه وأرعن وأجهل ؟ .

ثم لو علمت يا مسكين ما سيلقى جارك غداً من طول الحســاب يوم القيامة إن لم يكن أطاع الله فيما خوله وأدى حقه فيها ، وامتثال أمره وانتهاء نهيه فيها ، واستعان بها على عبادته وطاعته ما يتمنى

أنه لم يعط من ذلك ذرة ولا رأى نعيماً يوماً قط ، أما سمعت ما قد ورد فى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال : (ليتمنين أقوام يوم القيامة أن تقرض لحومهم بالمقاريض مما يرون لأصحاب البلاء من الثواب) فيتمنى جارك غداً مكانك فى الدنيا لما يرى من طول حسابه ومناقشته وقيامه خمسين ألف سنة فى حر الشمس فى القيامة ، لأجل ما يمتنع به من النعيم فى الدنيا وأنت فى معزل عن ذلك فى ظل العرش آكلاً شارباً متنعماً فرحاً مسروراً مستريحاً ، لصبرك على شدائد الدنيا وضيقها وآفاتها وبؤسها وفقرها ، ورضاك وموافقتك لربك ﷻ فيما دبر وقضى من فقرك وغناء غيرك ، وسقمك وعافية غيرك ، وشدتك ورخاء غيرك ، وذلك وعز غيرك ، جعلنا الله وإياك ممن صبر عند البلاء ، وشكر على النعماء ، وفوض الأمور إلى رب السماء .

المقالة الثامنة والثلاثون
فى الصدق والنصيحة

قال رضى الله عنه وأرضاه : من عامل مولاه بالصدق والنصاح ، استوحش مما سواه فى المساء والصباح .

يا قوم لا تدعوا ما ليس لكم ، ووحدوا ، ولا تشركوا ، والله إن سهام القدر تصيبكم خدشاً لا قتالاً ، من كان فى الله تلفه فعلى الله خلفه .

* * * * *

المقالة التاسعة والثلاثون
فى تفسير الشقاق والوفاق والنفاق

قال رضى الله عنه وأرضاه : الأخذ مع وجود الهوى من غيـر الأمر عناد وشقاق ، والأخذ مع عدم الهوى وفاق وإنفـاق وتركـه رياء ونفاق .

المقالة الأربعون
متى يصح السالك أن يكون فى زمرة الروحانيين

قـال رضى الله عنه وأرضاه : لا تطمع أن تدخل فـى زمـرة الروحانيين حتى تعـادى جملتـك ، وتبـاين جميـع الجـوارح والأعضاء ، وتنفرد عن وجودك وحركاتـك وسـكناتك وسـمعك وبصرك وكلامك وبطشك وسعيك وعملك وعقلك ، وجميع ما كان منك قبل وجود الروح فيك وما أوجد فيك بعد نفـخ الـروح ، لأن جميع ذلك حجابك عن ربك ﷻ ، فإذا صرت روحاً منفردة ، سر السر ، غيب الغيب ، مبايناً للأشياء فى سرك ، متخذاً للكل عـدواً وحجاباً وظلمة كما قال إبراهيم الخليل عليه السلام (فإنهم عدو لى إلا رب العالمين) قال ذلك للأصنام ، فأجعل أنت جملتك وأجزاءك أصناماً مع سائر الخلق ، فلا تطع شيئاً من ذلك ولا تتبعه جملـة ، فحينئذ تؤمن على الأسرار والعلوم اللدنية وغرائبها ، ويـرد إليـك التكوين وخرق العادات التى هى من قبيـل القـدرة التـى تكـون

للمؤمنين فى الجنة ، فتكون فى هذه الحالة كأنك أحييت بعد الموت فى الآخرة ، فتكون كليتك قدرة ، تسمع بالله ، وتنطق بالله ، وتبصر بالله ، وتبطش بالله وتسعى بالله ، وتعقل بالله ، وتطمئن وتسكن بالله ، فتعمى عن سواه وتصم عنه فلا ترى لغيره وجوداً مع حفظ الحدود والأوامر والنواهى ، فإن انخرم فيك شئ من الحدود فاعلم أنك مفتون متلاعبة بك الشياطين ، وارجع إلى حكم الشرع ودع عنك رأى الهوى ، لأن كل حقيقة لم تشهد لها الشريعة فهى زندقة ، والله أعلم .

المقالة الحادية والأربعون
مثل فى الفناء وكيفيته

قال رضى الله عنه وأرضاه : نضرب لك مثلاً فى الفناء فنقول : ألا ترى أن الملك يولى رجلاً من العوام ولاية على بلدة من البلاد ، ويخلع عليه ويعقد له ألوية ورايات ، ويعطيه الكؤوس والطبل والجند فيكون على برهة من الزمان ، حتى إذا اطمأن واعتقد بقاءه وثباته ، وعجب به ونسى حالته الأولى ونقصانه وذله وفقره وخموله ، وداخلته النخوة والكبرياء جاءه العزل من الملك فى أشر ما كان من أمره ، ثم طالبه الملك بجرائم صنعها وتعدى أمره ونهيه فيها ، فحبسه فى أضيق الحبوس وأشدها ، وطال حبسه ودام ضره له وذله وفقره ، وذابت نخوته وكبرياؤه ، وانكسرت نفسه وخمدت نار هواه ، وكل ذلك فى عين الملك ثم تعطف الملك عليه فنظره بعين الرأفة والرحمة ، فأمر بإخراجه من الحبس والإحسان

إليه ، والخلعة عليه ورد الولاية إليه ومثلها معهـا وجعلهـا لـــه موهبة ، فدامت له وبقيت مصفاة مكفاة مهنأة وكـذلك المـؤمن إذا قربه الله إليه واجتبـاه فتح قبالـة عين قلبه باب الرحمـة والمنـة والإنعام ، فـيرى بقلبه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطـر على قلب بشر ، من مطالعة الغيوب من ملكوت السموات والأرض وتقريب وكلام لذيذ لطيف ووعد جميل ، ووفاء به ، وإجابة دعـاء وكلمات حكمة وتصديق وعد ، فإنها ترمى إلى قلبه قذفاً من مكـان بعيد فتظهر على لسانه ، ومع ذلك يسبغ عليه نعمة ظـاهرة علـى جسده وجوارحه ، فى المأكول والمشروب والملبـوس والمنكـوح الحلال والمباح وحفظ الحدود والعبادات الظاهرة ، فيـديم الله ﷻ ذلك لعبده المؤمن المجذوب برهة من الزمان ، حتى اطمأن العبـد إلى ذلك واغتر به واعتقد دوامه فتح عليه أبواب البلايـا وأنـواع المحن فى النفس والمال والأهل والولد والقلب ، فينقطع عنه جميع ما كان أنعم الله عليه من قبل ، فيبقى متحيـراً حسـيراً منكسـراً مقطوعاً به .

إن نظر إلى ظاهره رأى ما يسوؤه ، وإن نظر إلى قلبه وباطنـه رأى ما يحزنه ، وإن سأل الله تعالى كشف ما به من الضر لم يـر إجابته ، وإن طلب وعـداً جميلاً لم يجده سريعاً وإن وعـد بشـئ لم يعثر على الوفاء بـه ، وإن رأى رؤيـا لـم يظفـر بتعبيرهـا وتصديقها ، وإن رام الرجوع إلى الخلق لم يجد إلى ذلك سـبيلاً ، وإن ظهرت له فى ذلك رخصة فعمل بها تسارعت العقوبات نحـوه وتسلطت أيدى الخلق على جسمه وألسنتهم علـى عرضـه ، وإن طلب الإقالة مما قـد أدخـل فيه من الحـالة الأولى قبل الاجتبـاء

لم يقــل ، وإن طلب الرضا أو الطيبة والتنعم بما بـــه من البـــلاء لم يعط فحينئذ تأخذ النفس فى الذوبان والهوى فى الـــزوال والإرادة والأمانى فى الرحيل والأكوان فى التلاشى ، فيدام له ذلك بل يزداد تشديداً وعصراً وتأكيداً ، حتى إذا فنى العبد من الأخلاق الإنســانية والصفات البشرية وبقى روحاً فقط يسمع نداء فى باطنه (أركــض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) كما قيل لســيدنا أيــوب عليــه السلام ، فيمطر الله ﷻ فى قلبـــه بحار رحمته ورأفتـــه ولطفـــه ومنته ، ويحييه بروحه ويطيبه بمعرفته ودقائق علومـــه ، ويفـــتح عليه أبواب رحمته ونعمته ودلاله ، وأطلق إليـــه الأيـــدى بالبـــذل والعطاء والخدمة فى سائر الأحوال والألســـن بالحمـــد والثنـــاء ، والذكر الطيب فى جميع المحال ، والأرجل بالترحال ، وذلـــل لـــه وسخر لـــه الملوك والأرباب ، وأسبغ عليه نعمة ظاهرة وباطنـــة ، تربيته ظاهرة بخلقه ونعمه ، ويستأثره تربيته باطنة بلطفه وكرمه ، وأدام له ذلك إلى اللقاء ، ثم يدخلـــه فيمـــا لا عـــين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، كما قال جل وعلا : **﴿ فلا تعلـــم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾** .

*****

المقــالة الثانية والأربعون
فى بيان حالتى النفس

قال رضى الله عنه وأرضاه : النفس لها حالتان لا ثالث لهمــا : حالة عافية ، وحالة بلاء ، فإذا كانت فى بلاء فــالجزع والشــكوى والسُخط والاعتراض والتهمة للحق جل وعلا لا صبر ولا رضــى ولا موافقة ، بل سوء الأدب والشرك بالحق والأســباب والكفــر ، وإذا كانت فى عافية فالشره والبطر واتباع الشهوات واللذات ، كلما نالت شهوة طلبت أخرى ، واستحقرت ما عندها مــن الــنعم مــن ماكول ومشروب وملبوس ومنكوح ومسكون ومركوب ، فتخــرج لكل واحدة من هذه النعم عيوباً ونقصاً ، وتطلب أعلى منها وأسنى مما لم يقسم لها ، وتعرض عما قسم لها ، فتوقع الإنسان فى تعــب طويل ، ولا ترضى بما فى يديها وما قسم لها ، فيرتكب الغمــرات ويخوض المهالك فى تعب طويل لا غاية له ولا منتهى فى الدنيا ، ثم فى العقبى ، كما قيل : إن من أشد العقوبات طلب ما لا يقســم . وإذا كانت فى بلاء لا تتمنى سوى انكشافها وتنسى كل نعيم وشهوة ولذة ولا تطلب شيئاً منها ، فإذا عوفيت منها رجعت إلى رعونتهــا وشــرها وبطرها وإعراضها عن طاعــة ربهــا وانهماكهــا فــى معاصيه ، وتنسى ما كانت فيه من أنواع البلاء والضر وما حل بها من الويل ، فترد إلى أشد ما كانت عليه من أنواع البلاء والضــر ، لما اجترحت وركبت من العظائم فطماً لها وكفاً عن المعاصى فــى المستقبل ، إذ لا تصلح لها العافية والنعمة بل حفظها فــى الــبلاء

والبؤس ، فلو أحسنت الأدب عند انكشاف البلية ولازمت الطاعـة والشكر والرضى بالمقسوم لكان خيراً لها دنيا وأخـرى ، وكانـت تجد زيادة فى النعيم والعافيـة والرضـى مـن الله ﷻ والطيبـة والتوفيق ، فمن أراد السلامة فى الدنيا والأخرى فعليـه بالصـبر والرضا ، وترك الشكوى إلى الخلق وإنزال حوائجـه بربـه ﷻ ولزوم طاعته وانتظار الفرج منه والانقطاع إليه ﷻ ، إذ هو خير من غيره ومن جميع خلقه ، حرمانه عطاء ، عقوبته نعماء ، بلاؤه دواء ، وعده نقذ ، قوله فعل مشيئة حاله ، إنما وقولـه وأمره (**إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**) كـل أفعالـه حسـنة وحكمـة ومصلحة ، غير أنه طوى على المصالح من عباده وتفـرد بـه ، فالأولى واللائق بحاله والرضى والتسليم ، واشتغاله بالعبودية مـن أداء الأوامر وانتهـاء النواهى والتسـليم فـى القـدر ، وتـرك الاشتغال فى الربوبية التـى هـى علـة الأقـدار ومحاربتهـا ، والسكوت عن لم وكيف ومتى ؟ والتهمة للحـق ﷻ فـى جميـع حركاته وسكناته ، وتستند هذه الجملة إلى حديث بن عباس رضـى الله عنهما ، وهو ما روى عن عطاء بن عباس رضى الله عنهمـا قال : بينما أنا رديف رسول الله ﷺ إذ قال لى : يا غلام " احفـظ الله يحفظك ، أحفظ الله تجده أمامك ، فإذا سألت فاسـأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، جف القلم بما هو كائن " فلو جهد العبـاد أن ينفعوك بشئ لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ، ولو جهد العبـاد أن يضروك بشئ لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه فإن اسـتطعت أن تعامل الناس بالصدق واليقين فاعمل ، وإن لم تستطع فإن الصـبر على ما تكره خيراً كثيراً . واعلم أن النصرة بالصبر والفرج مـع

الكرب ، وإن مع العسر يسراً ، فينبغى لكل مؤمن أن يجعل هذا الحديث مرآة لقلبه وشعاره ودثاره وحديثه ، فيعمل به فى جميع حركاته وسكناته حتى يسلم فى الدنيا والآخرة ويجد العزة فيهما ، برحمة الله ﷻ .

المقالة الثالثة والأربعون
فى ذم السؤال من غير الله تعالى

قال قدس الله سره : ما سأل الناس من سأل إلا لجهله بالله ﷻ وضعف إيمانه ومعرفته ويقينه وقلة صبره ، وما تعفف من تعفف عن ذلك إلا لوفور علمه بالله ﷻ وقوة إيمانه ويقينه وتزايد معرفته بربه ﷻ فى كل يوم ولحظة وحياته منه ﷻ .

المقالة الرابعة والأربعون
فى سبب عدم استجابة دعاء العارف بالله تعالى

قال قدس الله سره : إنما لم يستجب للعارف كلما يسأل ربه ﷻ ويوفى له بكل وعد لئلا يغلب عليه الرجاء فيهلك ، لأن ما من حالة ومقام إلا ولذلك خوف ورجاءهما جناحى طائر لا يتم الإيمان إلا بهما وكذلك الحال والمقام ، غير أن خوف كل حالة ورجاءها بما يليق بها ، فالعارف مقرب وحالته ومقامه أن لا يريد شيئاً سوى مولاه ﷻ ولا يركن ولا يطمئن إلى غيره ﷻ ، ولا يستأنس بغيره ، فطلبه لإجابة سؤاله والوفاء بعهده غير ما هو بصدده

ولائق بحاله ففى ذلك أمران اثنان : أحدهما لئلا يغلب عليه الرجاء والغرة بمكر ربه ﷻ فيغفل عن القيام بالأدب فيهلك ، والآخر شركه بربه ﷻ يشئ سواه ، إذ لا معصوم فى العالم فى الظاهر بعد الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، فلا يجيبه ولا يوفى له كيلا ، يسأل عادة ويريده طبعاً لا امتثال للأمر ، لما فى ذلك من الشرك والشرك كبيرة فى الأحوال كلها والأقدام جميعها والمقامات بأسرها .

وأما إذا كان السؤال بأمر فذلك مما يزيده قرباً كالصلاة والصيام وغيرهما من الفرائض والنوافل ، لأنه يكون فى ذلك ممتثلاً للأمر .

المقالة الخامسة والأربعون
فى النعمة والابتلاء

قال رضى الله عنه وأرضاه : إن الناس رجلان : منعم عليه ، ومبتلى بما قضى ربه ﷻ ، فالمنعم لا يخلو من المعصية والتكدر فيما أنعم عليه ، فهو فى أنعم ما يكون من ذلك إذ جاء القدر بما يكدره عليه من أنواع البلايا من الأمراض والأوجاع والمصائب فى النفس والمال والأهل والأولاد فيتعظ بذلك ، فكأنه لم ينعم عليه قط وينسى ذلك النعيم وحلاوته وإن كان الغنى قائماً بالمال والجاه والعبيد والإماء والأمن من الأعداء فهو فى حال النعماء كأن لا بلاء فى الوجود ، كل ذلك لجهله بمولاه ﷻ ﴿ **فعال لما يريد** ﴾ يبدل ، ويحلى ويمر ، ويغنى ويفقر ، ويرفع ويخفض ، ويعز

ويذل ، ويحيى ويميت ، ويقدم ويؤخر . لما اطمان إلى ما به مـن النعيم ، ولما اغتر به ، ولما أيس من الفرج فـى حالـة الـبلاء ، وبجهله أيضاً بالدنيا اطمأن إليها وطلب بها صفاء لا يشوبه كـدر ، ونسى إنها دار بلاء وتنغيص ، وتكاليف وتكدير وأن أصلها بـلاء وطارفها نعماء فهى كشجرة الصبر أول ثمرتها مر وآخرها شـهد حلو ، لا يصل المرء إلى حلاوتها حتى يتجرع مرارتها ، فلن يبلغ إلى الشهد إلا بالصبر على المر ، فمن صبر على بلائها حلى لـه نعيمها ، إنما يعطى الأجير أجره بعد عروق جبينه وتعـب جسـده وكرب روحه وضيق صدره وذهاب قوته وإذلال نفسه وكسر هواه فى خدمة مخلوق مثله ، فلما تجرع هذه المرائر كلها أعقبـت لـه طيب طعام وإدام وفاكهة ولباس وراحة وسرور ولو أقـل قليـل ، فالدنيا أولها مرة كالصحفة العلـيا من عسل فى ظـرف مشـوبة بمرارة ، فلا يصل الآكل إلى قرار الظرف ويتناول الخالص منـه إلا بعد تناول الصحفة العليا ، فإذا صبر العبـد علـى أداء أوامـر الرب ﷻ وانتهاء نواهيه والتسليم والتفويض فيما يجرى به القدر ، وتجرع مرائر ذلك كله وتحمل أثقاله ، وخالف هواه وترك مراده . أعقبه الله ﷻ بذلك طيب العيش فى آخر عمره والدلال والراحـة والعزة ، ويتولاه ويغذيه كما يغذى الطفل الرضيع من غير تكلـف منه وتحمل مؤنة وتبعة فى الدنيا والأخرى كما يتلذذ آكل المر مـن الصحفة العليا من العسل يأكله من قرار الظرف ، فينبغـى للعبـد المنعم عليه أن لا يأمن مكر الله ﷻ فيغتر بالنعمة ويقطع بدوامها ، ويغفل عن شكرها ويرخى قيدها بتركه لشكرها . قـال النبى ﷺ : (النعمة وحشية فقيدوها بالشكر) فشكر نعمة المال الاعتراف بهـا

للمنعم المتفضل وهو الله ﷻ والتحدث بها لنفسه فى سائر الأحوال ورؤية فضله ومنته ﷻ وأن لا يتملك عليه ولا يتجاوز حده فيــه ، ولا يترك أمره فيه ، ثم بأداء حقوقه من الزكاة والكفــارة والنــذر والصدقة ، وإغاثة الملهوف ، وافتقاد أرباب الحاجات وأهلها فــى الشدائد عند تقلب الأحوال وتبدل الحسنات بالسيئات ، أعنى ساعات النعيم والرخــاء بالبأساء والضراء . وشكر نعمــة العافيــة فــى الجوارح والأعضاء فى الاستعانة بها على الطاعات والكــف عــن المحارم والسيئات والمعاصى والآثام فذلك قيد النعم عــن الرحلــة والذهاب ، وسقى شجرتها وتنمية أغصانها وأوراقهــا ، وتحســين ثمرتها ، وحلاوة طعمها وسلامة عاقبتها ، ولذة مضغها ، وسهولة بلعها ، وتعقب عافيتها وريعها فى الجسد ، ثم ظهور بركتها علــى الجوارح من أنواع الطاعات والقربات والأذكار ، ثم دخول العبــد بعد ذلك فى الآخرة فى رحمة الله ﷻ . والخــلود فى الجنان مــع ــ النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئــك رفيقاً ــ فــإن لم يفعل ذلك واغتر بما ظهر من زينة الدنيا وبمــا ذاق مــن لذتها ، واطمأن إلى بريق سرابها وما لاح من بريقها وما هب مــن نسيم أول نهار قيظها ، ونعمومة جلود حياتها وعقاربهــا ، وغفــل وعمى عن سمومها القاتلة المودعــة فــى أعماقهــا ، ومكامنهــا ومصايدها المنصوبة لأخذه وحبسه وهلاكه ، فليهنأ للردى وليستبش بالعطب والفقر العاجل ، مع الذل والهوان فى الدنيا والعذاب الآجل فى النار ولظى .

وأما المبتلى . فتارة يبتلى عقوبــة ومقابلــة لجريمــة ارتكبهــا ومعصية اقترفها وأخرى يبتلى تكفيراً وتمحيصاً ، وأخــرى يبتلــى

لارتفاع الدرجات وتبليغ المنازل العاليات ليلحق بأولى العلم من أهل الحالات والمقامات ، مما سبقت لهم عناية من رب الخليقة والبريات ، وسيرهم مولاهم ميادين البليات على مطايا الرفق والألطاف ، وروحهم بنسيم النظرات واللحظات فى الحركات والسكنات ، إذ لم يكن ابتلاهم للإهلاك والإهواء فى الدركات ، ولكن اخبرهم بها للاصطفاء والاجتباء واستخراج بها منهم حقيقة الإيمان وصفاها وميزها من الشرك والدعاوى والنفاق ، ونحلهم بها أنواع العلوم والأسرار والأنوار ، فجعلهم من الخلص الخواص ، ائتمنهم على أسراره ، وارتضاهم لمجالسته . قال النبى ﷺ : " الفقراء الصبر جلساء الرحمن يوم القيامة " دنيا وأخرى ، فى الدنيا بقلوبهم وفى الآخرة بأجسادهم ، فكانت البلايا مطهرة لقلوبهم من دون الشرك ، والتعلق بالخلق والأسباب والأمانى والإرادات ، وذوابة لها وسباكة من الدعاوى والهوسات ، وطلب الأعواض بالطاعات من الدرجات والمنازل العاليات فى الآخرة فى الفردوس والجنات .

فعلامة الابتلاء على وجه المقابلة والعقوبات ، عدم الصبر عند وجودها والجزع والشكوى إلى الخليقة والبريات .

وعلامة الابتلاء تكفيراً وتمحيصاً للخطيات وجود الصبر الجميل من غير شكوى وإظهار الجزع إلى الأصدقاء والجيران والتضجر بأداء الأوامر والطاعات .

وعلامة الابتلاء ارتفاع وجود الرضا والموافق ، وطمأنينة النفس والسكون بفعل إله الأرض والسموات ، والفناء فيها إلى حين الانكشاف بمرور الأيام والساعات .

المقالة السادسة والأربعون
فى قوله ﷺ عن الحديث القدسى
{ من شغلــه ذكــرى .... } إلى آخره

قال رضى الله عنه وأرضاه : فى قول النبى ﷺ عن ربى ﷻ : (من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى الســائلين) وذلك أن المؤمن إذا أراد الله ﷻ اصطفاءه واجتباءه ، ســلك بــه الأحوال وامتحنه بأنواع المحن والبلايا فيفقره بعد الغنى ويضــطره إلى مسألة الخلق فى الرزق عند سد جهاته عليه ، ثم يصونه عــن مسألتهم ويضطره إلى الكسب ويسهله عليه وييســره لــه فيأكــل بالكسب الذى هو السنة ، ثم يعسره عليه ويلهمه الســؤال للخلــق ، ويأمره به بأمر باطن يعلمه ويعرفه ويجعل عبادته فيه ومعصــيته فى تركه ، ليزول بذلك هواه وتنكسى نفسه وهى حالــة الرياضــة فيكون سؤاله على وجه الإجبار لا على وجه الشرك بالجبار ، ثــم يصونه عن ذلك ويأمــره بالفرض منهم أمراً جزماً لا يمكنه تركه كالسؤال من قبل ثم ينقله من ذلك ويقطعه عن الخلق ومعــاملتهم ، فيجعل رزقه فى السؤال له ﷻ فيسأله جميــع مــا يحتــاج إليــه فيعطيه ﷻ ولا يقطعه إن سكت وأعرض عن السؤال ، ثم ينقلــه من السؤال باللسان إلى السؤال بالقلب فيسأله بقلبه جميع ما يحتــاج فيعطيه حتى أنه لو سأله بلسانه لم يعطه أو سأل الخلق لم يعطوه ، يغنيه عنه وعــن الســؤال جملة ظاهراً وباطنــاً ، فيناديه بجميــع ما يصلحه ويقوم به أوده من المأكول والمشروب والملبوس وجميع

مصالح البشر من غير أن يكون هو فيها أو تخطر بباله . فيتــولاه ﷻ وهو قوله ﷻ ﴿ **إن وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتــولى الصالحين** ﴾ فيتحقق حينئذ قوله ﷻ (من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين) وهى حالــة الفناء التــى هــى غاية أحوال الأولياء والأبدال ثم قــد يرد إلى التكوين فيكون جميع ما يحتاج إليه بإذن الله وهو قوله جل وعلا فى بعض كتب (يا ابن آدم أنا الله الذى لا إله إلا أنا أقول للشئ كن فيكون ، أطعنى اجعلك تقول للشئ كن فيكون) .

المقالة السابعة والأربعون
فى التقــرب إلى الله تعالى

قال رضى الله عنه وأرضاه : سألنى رجل شيخ فى المنام فقال : أى شئ يقرب العبد إلى الله ﷻ ؟ فقلت : لذلك ابتــداء وانتهــاء ، فابتداؤه الورع وانتهاؤه الرضى والتسليم والتوكل .

المقالة الثامنة والأربعون
فيما ينبغى للمؤمن أن يشتغل به

قال رضى الله عنه وأرضاه : ينبغــى للمؤمن أن يشــتغل أولاً بالفرائض ، فإذا فرغ منها اشتغل بالسنــن ، ثم يشــتغل بالنوافــل والفضائل ، فما لم يفرغ من الفرائض فالاشــتغال بالســنن حمــق ورعونة ، فإن اشــتغل بالسنن والنوافل قبل الفرائض لم يقبل منه

واهين ، فمثلـــه مثل رجل يدعوه الملك إلى خدمته فلا يــأتى إليــه ويقف فى خدمة الأمير الذى هو غلام الملك وخادمه وتحـــت يـــده وولايتـــه .

عن أمير المؤمنين سيدنا على بن أبى طالـــب ﷺ قـــال : قـــال رسول الله ﷺ : (إن مثل مصلى النوافل قبل الفرائض كمثل حبلى حملت فلما دنا نفاسها أسقطت فــلا هى ذات حمــل ولا هـــى ذات ولادة) كذلك المصلى لا يقبل الله له نافلة حتى يؤدى الفريضـــة . ومثل المصلى كمثل التاجر لا يخلص له ربحه حتى يأخـــذ رأس ماله ، وكذلك المصلى بالنوافل لا تقبل لـــه نافلـــة حتـــى يـــؤدى الفريضة ، وكذلك من ترك السنة واشتغل بنافلة لـــم ترتـــب مـــع الفرائض ولم ينص عليها ويؤكد أمرها فمن الفرائض ترك الحـــرام والشرك بالله ﷻ فى خلقه ، الاعتراض عليه فى قـــدره وقضـــائه وإجابة الخلق وطاعتهم ، والإعراض عن أمر الله ﷻ وطاعتـــه . قال النبى ﷺ : (لا طاعة لمخلوق فى معصية خالق) .

المقالة التاسعة والأربعون
فى ذم النـــوم

قال رضى الله عنه وأرضاه : من اختار النوم على الـــذى هـــو سبب اليقظة فقد اختار الأنقص والأدنى واللحوق بالموت والغفلـــة عن جميع المصالح ، لأن النوم أخو الموت ولهذا لا يجـــوز النـــوم على الله لما انتفى ﷻ عن النقائص أجمع ، وكذلك الملائكـــة لمـــا قربوا منه ﷻ نفى النوم عنهم ، وكذلك أهل الجنة لما كـــانوا فـــى

أرفع المواضع وأطهرها وأنفسها وأكرمها نفى النوم عنهم لكونه نقصاً فى حالتهم ، فالخير كل الخير فى اليقظة ، والشر كل الشر فى النوم والغفلة ، فمن أكل بهواه أكل كثيراً فشرب كثيراً فنام كثيراً فندم كثيراً طويلاً وفاته خير كثير ، ومن أكل قليلا من الحرام كان كمن أكل كثيراً من المباح بهواه ، لأن الحرام يغطى الإيمان ويظلمه كالخمر يظلم العقل ويغطيه ، فإذا أظلم الإيمان فلا صلاة ولا عبادة ولا إخلاص ، ومن أكل من الحلال كثيراً بالأمر كان كمن أكل منه قليلاً فى النشاط فى العبادة والقوة ، فالحلال نور فى نور ، والحرام ظلمة فى ظلمة ، لا خير فيه . أكل الحلال بهواه بغير الأمر ، وأكل الحرام مستجلبان للنوم ، فلا خير فيه .

المقالة الخمسون
فى علامة دفع العبد عن الله تعالى
وبيان كيفية التقرب منه تعالى

قال رضى الله عنه وأرضاه : لا يخلو أمرك من قسمين :

إما أن تكون غائباً عن القرب من الله أو قريباً منه واصلاً إليه ، فإن كنت غائباً عنه فما قعودك وتوانيك عن الحظ الأوفر والنعيم والعز الدائم والكفاية الكبرى والسلامة والغنى والدلال فى الدنيا والأخرى ؟ فقم وأسرع فى الطيران إليه ﷻ بجناحين : أحدهما : ترك اللذات والشهوات الحرام منها والمباح والراحات أجمع . والآخر احتمال الأذى والمكاره وركوب العزيمة والأشد ، والخروج من الخلق والهوى والإرادات والمنى دنيا وأخرى حتى تظفر

بالوصول والقرب ، فتجد عند ذلك جميع ما تتمنى ، وتحصل لـــك الكرامة العظمى والعزة الكبرى فإن كنت من المقربين الواصـــلين إليه ﷻ ممن أدركتهم العناية وشملتهم الرعاية وجــذبتهم المحبــة ونالتهم الرحمة والرأفة ، فأحسن الأدب ولا تغتر بما أنــت فيــه ، فتقصر فى الخدمة ، ولا تخلد إلى الرعونة الأصــلية مــن الظلــم والجهل والعجل فى قوله تعالى : **﴿ وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا ﴾** وقوله تعالى : **﴿ وكان الإنسان عجولا ﴾** واحفظ قلبك من الالتفات إلى ما تركته من الخلق والهوى والإرادة والتخير وتــرك الصبر والموافقة والرضا عند نزول البلاء ، واستطرح بين يدى الله ﷻ كالكرة بين يدى الفارس يقلبها بصولجانه ، والميت بين يــدى الغاسل ، والطفل الرضيع فى حجر أمه وظئره ، تعامى عمن سواه ﷻ فلا ترى لغيره وجوداً ولا ضرّاً ولا نفعاً ولا عطاءً ولا منعاً ، اجعل الخليقة والأسباب عنــد الأذية والبلية كسوطه ﷻ يضــربك به ، وعند النعمة والعطية كيده يلقمك بها .

المقالة الحادية والخمسون
فى الزهــد

قال رضى الله عنه وأرضاه :

الزاهــد يثاب بسبــب الأقسام مرتــين يثــاب فى تركها أولاً ، فلا يأخذها بهواه وموافقة النفس ، بل يأخذها بمجرد الأمر ، فــإذا تحققت عداوته لنفسه ومخالفته لهواه عُد من المحقين وأهل الولايــة وأُدخل فى زمرة الأبدال والعارفين أمر حينئذ بتناولها والتلبس بها ،

إذ هى قسمة لابد له منها لم تخلق لغيره ، جف بها القلم وسبق بهـا العلم ، فإذا امتثل الأمر فتناول أو اطلع بالعلم فتلبس بهـا بجريـان القدر والفعل فيه من غير أن يكون هـو فيه ، لا هـوى ولا إرادة ولا همة أثيب بذلك ثانياً ، هو ممتثل للأمر بذلك أو موافـق لفعـل الحق ﷻ فيه .

فإن قال قائل : كيف أطلقت القول بالثواب لمن هو فـى المقـام الأخير الذى ذكرته من أنه أدخل فى زمـرة الأبـدال والعـارفين المفعول فيهم ، الفانين عن الخلق والأنفـس والأهويـة والإرادات والحظوظ والأمانى والأعواض على الأعمال الذين يـرون جميـع طاعاتهم وعباداتهم فضلاً من الله ﷻ ونعمـة ورحمـة وتوفيقـاً وتيسيراً منه ﷻ ويعتقدون أنهم عبيد الله ﷻ ، والعبد لا يسـتحق على مولاه حقاً ، إذ هو برمته مع حركاته وسكناته وأكسابه ملـك لمولاه ، فكيف يقال فى حقه يثاب وهو لا يطلب ثواباً ولا عوضـاً على فعله ولا يرى له عملاً ، بل يرى نفسه من البطـالين وأفلـس المفلسين من الأعمال .

فنقول : صدقت ، غير أن الله ﷻ يواصـله بفضـله ويدللـه بنعمه ويربيه بلطفه ورأفته وبره ورحمته وكرمه ، إذ كف يده عن مصالح نفسه وطلب الحظوظ لها وجلب النفع إليها ودفـع الضـر عنها ، فهو كالطفل الرضيع الذى لا حراك له فى مصـالح نفسـه وهو مدلل بفضل الله ﷻ ورزقه الدار على يدى والديه الـوكيلين الكفيلين ، فلما سلب عنه مصالح نفسه عطف قلوب الخلـق عليـه وأوجد رحمة وشفقة له فى القلوب حتى كل واحد يرحمه ويتعطـف عليه ويبره ، فهكذا الكل فإن عن سوى الله الذى لا يحركه غيـره

أمره أو فعله مواصل بفضل الله ﷻ دنيا وأخرى مدلل فيهما مدفوع عنه الأذى متولى ، قال تعالى ﴿ **إن ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين** ﴾ .

المقالة الثانية والخمسون
فى سبب ابتلاء طائفة من المؤمنين

قال رضى الله عنه وأرضاه : إنما يبتلى الله طائفة من المؤمنين الأحباب من أهل الولاية ليردهم بالبلاء إلى السؤال فيحب سؤالهم ، فإذا سألوا يجب إجابتهم فيعطى الكرم والجود حقهما لأنهما يطالبان لأنه ﷻ عند سؤال المؤمنين من الإجابة ، وقد تحصل الإجابة ولا يحصل النقد والنقاد لتعويق القدر لا على وجه عدم الإجابة والحرمان ، فليتأدب العبد عند نزول البلاء ، وليفتش عن ذنوبه فى ترك الأوامر وارتكاب المناهى ما ظهر منها وما بطن . والمنازعة فى القدر إذا تعاقب عليه ، إنما يبتلى بذلك مقابلة ، فإن انكشف البلاء ، وإلا ، فليتخذ إلى الدعاء والتضرع والاعتذار فيديم بالسؤال لجواز أن يكون ابتلاه ليسأله ، ولا يتهمه لتأخير الإجابة لما بيناه ، والله أعلم .

*****

المقالة الثالثة والخمسون
فى الأمر بطلب الرضى من الله والفناء به تعالى

قال رضى الله عنه وأرضاه : اطلبوا من الله ﷻ الرضا أو الفناء ، لأنه هو الراحة الكبرى والجنة العالية المنفرة فى الدنيا ، وهو باب الله الأكبر وعلة محبة الله لعبده المؤمن ، فمن أحبه الله لم يعذبه فى الدنيا والآخرة فيه اللحوق بالله ﷻ والوصول إليه ، ولا تشتغلوا بطلب الحظوظ وأقسام لم تقسم أو قسمت ، فإن كانت لم تقسم فالاشتغال بطلبها حمق ورعونة وجهالة ، وهو أشد العقوبات ، كما قيل : من أشد العقوبات طلب ما لا يقسم وإن كانت مقسومة فالاشتغال بها شره وحرص وشرك من باب العبودية والمحبة الحقيقية ، لأن الاشتغال بغير الله ﷻ شرك ، وطالب الحظ ليس بصادق فى محبته وولايته فمن احتال مع الله غيره فهو كذاب وطالب العوض على عمله غير مخلص ، وإنما المخلص من عبد الله ليعطى الربوبية حقها للمالكية والحقيقة ، لأن الحق ﷻ يملكه ويستحق عليه العمل والطاعة له بحركاته وسكناته وسائر أكسابه ، والعبد وما فى يده ملك لمولاه كيف وقد بينا فى غير موضع أن العبادات بأسرها نعمة من الله وفضل منه على عبده إذ وفقه لها وأقدره عليها ، فالاشتغال بالشكر لربه خير وأولى من طلبه من الأعواض أو الجزاء عليها ، ثم كيف تشتغل بطلب الحظوظ ، وقد ترى خلقاً كثيراً كلما كثرت الحظوظ عندهم وتواترت وتتابعت اللذات والنعم والأقسام إليهم زاد سخطهم على

ربهم وتضجرهم وكفرهم بالنعمة وكثرة همومهم وغمومهم وفقرهم إلى أقسام لم تقسم غير ما عنـدهم وحقـرت وصـغرت وقبحـت أقسامهم عندهم وعظمت وكبرت وحسنت أقسام غيـرهم وانحلـت قواهم ، وكبرت سنهم وشتتت أحوالهم وتعبت أجسـادهم وعرقـت جباههم وسودت صحائفهم بكثرة آثامهم وارتكاب عظائم الذنوب فى طلبها وترك أوامـر ربهم فلم ينالوهـا وخرجوا من الدنيا مفاليس لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، لا شكروا ربهم فيما قسم لهـم مـن أقسامهم فاستعانوا بها على طاعته . وما نالوا ما طلبوا من أقسـام غيرهم ، بل ضيعوا دنياهم وآخرتهم ، فهم أشر الخليقـة وأجهلهـم وأحمقهم وأخسهم عقولاً وبصيرة ، فلو أنهم رضوا بالقضاء وقنعوا بالعطاء وأحسنوا طاعة المولى لأتتهم أقسامهم من الدنيا من غيـر تعب ولا عناء ، ثم نقلوا إلى جوار العلى الأعلى فوجدوا عنده كـل مراد ومنى ، جعلنا الله وإياكم ممن رضى بالقضاء ، وجعل سؤاله ذلك والفناء وحفظ الحال والتوفيق بما يحبه ويرضى .

المقالة الرابعة والخمسون
فيمن أراد الوصول إلى الله تعالى
وبيان كيفية الوصول إليه تعالى

قال رضى الله عنه وأرضاه : من أراد الآخرة فعليه بالزهد فـى الدنيا ، ومن أراد الله فعليه بالزهد فى الآخرة ، فيترك دنياه لآخرته وآخرته لربه ، فما دام فى قلبه شهوة من شهوات الدنيا ولـذة مـن لذاتها وطلب راحة من راحتها من سائر الأشياء مـن مـأكول أو

مشروب وملبوس ومنكوح ومسكون ومركوب ، وولاية ، ورياسة وطبقة فى علم من فنون العلم من الفقه فوق العبادات الخمس ، ورواية الحديث وقراءة القرآن برواياته ، والنحو واللغة والفصاحة والبلاغة ، وزوال الفقر ووجود الغنى وذهاب البلية ومجئ العافية ، وفى الجملة انكشاف الضر ومجئ النفع فليس بزاهد حقاً لأن كل واحد من هذه الأشياء فيه لذة النفس وموافقة الهوى وراحة الطبع وحب له ، وكل ذلك من الدنيا ومما يحبب البقاء فيها ويحصل السكون والطمأنينة إليها ، فينبغى أن يجاهد فى إخراج جميع ذلك عن القلب ، ويأخذ نفسه بإزالة ذلك وقلعه والرضا بالعدم والإفلاس والفقر الدائم ، فلا يبقى من ذلك مقدار مص نواة ليخلص زهده فى الدنيا ، فإذا تم له ذلك زالت الغموم والأحزان من القلب والكرب عن الحشا ، وجاءت الراحات والطيب والأنس بالله كما قال ﷺ : (الزهد فى الدنيا يريح القلب والجسد) فما دام فى قلبه شئ من ذلك فالهموم والخوف والوجل قائم فى القلب والخذلان لازم له ، والحجاب عن الله عز وجل وعن قربه متكاثف متراكم فلا ينكشف جميع ذلك إلا بزوال حب الدنيا على الكمال وقطع العلائق بأثرها ، ثم يزهد فى الآخرة ، فلا يطلب الدرجات والمنازل العاليات والحور والولدان والدور والقصور والبساتين والمراكب والخيل والحلى والمآكل والمشارب وغير ذلك مما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين ، فلا يطلب على عمله جزاء أو أجراً من الله ﷻ البتة دنيا ولا أخرى ، فحينئذ يجد الله ﷻ فيؤتيه حسابه تفضلاً منه ورحمة ، فيقربه منه ويدنيه ويلطف به ويتعرف إليه بأنواع ألطافه وبره كما هو دأبه ﷻ مع رسله وأنبيائه وأوليائه وخواصه وأحبابه

أولى العلم به ﷻ فيكون العبد كل يوم فى مزيد أمره مـدة حياته .
ثم ينتقـل إلى دار الآخرة إلى ما لا عـين رأت ولا أذن سـمعت ولا خطر على قلب بشر ، مما تضيق عنه الأفهـام وتعجـز عـن وصفه العبارات ، والله أعلم .

المقالة الخامسة والخمسون
فى ترك الحظوظ

قال رضى الله عنه وأرضاه : ترك الحظـوظ ثـلاث مـرات :
الأولى يكون العبد ماراً فى عشواه متخبطاً فيه متصرفاً بطبعه فـى جميع أحواله من غير تعبد لربه ولازم فى الشرع يرده ولا جده من جدود ينتهى إليه عن حكمه ، فبينما هو على ذلك ينظـر الله إليـه يعنى يرحمه ، فيبعث الله إليه واعظاً من خلقه من عباده الصالحين فينبهه ، ويثنيه بواعظ من نفسه ، فيتضافر الواعظان علـى نفسـه وطبعه ، فتعمل الموعظة عملها ، فتبين عندها عيب ما هى فيه من ركوب مطية الطبع والمخافة فتميل إلى الشرع فى جميع تصرفاتها فيصير العبد مسلماً قائماً مع الشرع فانياً عن الطبع ، فيترك حـرام الدنيا وشبهاتها ومنن الخلق ، فيأخذ مباح الحق ﷻ وحلال الشرع فى مأكله ومشربه وملبسه ومنكحه وجميع ما لابد منـه ، لتحـتفظ البنية ويتقوى على طاعة الرب ﷻ ، وليستوفى قسمه المقسوم لـه الذى لا يتجاوزه ولا سبيل إلى الخروج مـن الـدنيا قبـل تناولـه والتلبس به واستيفائه فيسير على مطية المباح والحلال فى الشـرع فى جميع أحواله تنتهى به هذه المطية إلى عتبة الولاية والدخول فى

زمرة المحققين والخواص أهل العزيمة مريدى الحق ، فيأكل بالأمر ، فحينئذ يسمع نداء من قبل الحق ﷻ من باطنه : اترك نفسك وتعال ، اترك الحظوظ والخلق إن أردت الخالق ، واخلع نعليك ، ودنياك وآخرتك ، وتجرد عن الأكوان والموجودات وما سيوجد والأمانى بأسرها ، وتعر عن الجميع وافن عن الكل وتطيب بالتوحيد واترك الشرك وصدق الإرادة . ثم وطء البساط بالأدب مطرقاً ، لا تنظر يميناً إلى الآخرة ولا شمالاً إلى الدنيا ولا إلى الخلق ولا إلى الحظوظ ، فإذا دخل فى هذا المقام ، وتحقق الوصول جاءت الخلعة من قبل الحق ﷻ ، وغشيته أنواع المعارف والعلوم وأنواع الفضل ، فيقال له : تلبس بالنعم والفضل ولا تسئ الأدب بالرد وترك التلبس ، لأن رد نعم الملك افتئاتاً على الملك واستخفافاً بحضرته وحينئذ يتلبس بالفضل والقسمة بالله من غير أن يكون هو فيه ومن قبل كأن يتلبس بهواه ونفسه فله أربع حالات فى تناول الحظوظ والأقسام :

الأولى بالطبع وهو الحرام . **والثانية** بالشرع وهو المباح والحلال . **والثالثة** بالأمر وهى حالة الولاية وترك الهوى . **والرابعة** بالفضل وهى حالة زوال الإرادة وحصول البدلية وكونه مراداً قائماً مع القدر الذى هو فعل الحق وهى حالة العلم والاتصاف بالصلاح ، فلا يسمى صالحاً على الحقيقة إلا وصل إلى هذا المقام ، وهو قوله تعالى : ﴿ **إن وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين** ﴾ فهو العبد الذى كفت يده عن جلب مصالحه ومنافعه وعن رد مضاره ومفاسده ، كالرضيع مع الظئر ، والميت الغسيل مع الغاسل ، فتتولى يد القدر تربيته من غير أن

يكون لــه اختيار وتدبير ، فإن عن جميع ذلك لا حــالاً ولا مقامــاً ولا إرادة ، بل القيام مع القــدرة ، تارة يبسط وتارة يغنى وتــارة يفقر ، ويختار ولا يتمنى زوال ذلك وتغيره ، بل الرضـــى الــدائم والموافقة الأبدية ، فهو آخر ما تنتهى إليه أحوال الأوليــاء قدســت أسرارهم .

المقالة السادسة والخمسون فى فناء العبد عن الخلق والهوى والنفس والإرادة والأمانى

قال رضى الله عنه وأرضاه : إذا فنى العبد عن الخلق والهــوى والنفس والإرادة والأمانى دنيا وأخرى ولم يرد إلا الله ﷻ وخرج الكل عن قلبه وصل إلى الحق ، واصطفاه واجتباه ، وأحبه وحببــه إلى خلقه ، وجعله يحبه ويحب قربه ، ويتنعم بفضله ويتقلــب فــى نعمه وفتح عليه أبواب رحمته ، ووعده أن لا يغلقها عنــه أبــداً ، فيختار العبد حينئذ الله ، ويدبر بتدبيره ويشاء بمشيئته ، ويرضــى برضاه ويمتثل أمره دون غــيره ، ولا يــرى لغيره ﷻ وجــوداً ولا فعلاً ، فحينئذ يجوز أن يعده الله بوعد ثم لا يظهر للعبد وفــاء بذلك ، ولا يغير ما قد توهمه من ذلك ، لأن الغيريــة قــد زالــت بزوال الهوى والإرادة فصار فى فعل الله ﷻ وإرادتــه فيصــير الوعد حينئذ فى حقه مع الله ﷻ كرجل عزم على فعل شــئ فــى نفسه ونواه ثم صرفه إلى غيره كالناسخ والمنسوخ فيما أوحــى الله ﷻ إلى نبينا محمد ﷺ قوله ﷻ : ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننســها**

نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير ﴾ لما كان النبى ﷺ منزوع الهوى والإرادة سوى المواضع التى ذكرها الله ﷻ فى القرآن من الأسر يوم بدر (تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ولولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) كذا قالوا ، وغيره وهو مراد الحق ﷻ لم يترك على حالة واحدة بل نقله إلى القدر إليه فصرفه فى القدر وقلبه منها ، نبهه بقوله تعالى : **﴿ ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير ﴾** يعنى أنك فى بحر القدر تقلبك أمواجه تارة كذا وتارة كذا ، فمنتهى أمر الولى ابتداء أمر النبى ما بعد الولاية والبدلية إلا النبوة ، والله أعلم .

المقالة السابعة والخمسون
فى عدم المنازعة فى القدر والأمر بحفظ الرضا به

قال رضى الله عنه وأرضاه : الأحوال قبض كلها ، لأنه يؤمر الولى بحفظها وكل ما يؤمر بحفظه فهو قبض ، والقيام مع القدر بسط كله ، لأنه ليس هناك شئ يؤمر بحفظه سوى كونه موجوداً فى القدر ، فعليه أن لا ينازع فى القدر بل يوافق ولا ينازع فى جميع ما يجرى عليه مما يحلو ويمر . الأحوال معدودة فأمر بحفظ حدودها ، والفضل الذى هو القدر غير محدود فيحفظ .

وعلامة أن العبد دخل فى مقام القدر والفعل والبسط أنه يؤمر بالسؤال فى الحظوظ بعد أن أمر بتركها والزهد فيها ، لأنه لما خلا باطنه من الحظوظ ولم يبق فيه غير الرب ﷻ بوسط فأمر بالسؤال

والتشهى وطلب الأشياء التى هى قسـمه ، ولابـد مـن تناولهـا والتوصل إليه بسؤاله ، ليتحقق كرامته عنـد الله ﷻ ومنزلتـه ، وامتنان الحق ﷻ عليه بإجابته إلى ذلك ، والإطلاق بالسؤال فـى عطاء الحظوظ من أكثر علامات البسط بعد القبض ، والإخراج من الأحوال والمقامات والتكليف فى حفظ الحدود .

فإن قيل : هذا يدل على زوال التكلف والقول بالزندقة والخروج من الإسلام ، ورد قولـه ﷻ : **﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾** قيل لا يدل على ذلك ولا يؤدى إليه بل الله أكرم ووليه أعز عليـه من أن يدخله فى مقام النقص والقبيح فى شرعه ودينه ، بل يعصمه من جميع ما ذكر ويصرفه عنه ويحفظه وينبهـه ويسـدده لحفـظ الحدود ، فتحصل العصمة وتتحفظ الحدود من تكليف منه ومشقة ، وهو عن ذلك فى غيبة فى القرب قال ﷻ : **﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾** وقـال ﷻ : **﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ﴾** وقـال تعـالى : **﴿ إلا عبـاد الله المخلصـين ﴾** يا مسكين هو محمول الرب وهو مراده ، وهو يربيه فى حجر قربه ولطفه ، أنى يصل الشيطان إليه وتتطـرق القبـائح والمكاره فى الشرع نحوه ؟ أبعدت النجعة وأعظمت الفرية وقلـت قولاً فظيعاً ، تباً لهذه الهمم الخسيسة الدنية والعقول الناقصة البعيدة والآراء الفاسدة المتخلخلة ، أعاذنا الله والإخـوان مـن الضـلالة المختلفة بقدرته الشاملة ورحمته الواسعة ، وسترنا بأستاره التامـة المانعة الحامية ، وربانا بنعمه السابغة وفضائله الدائمة بمنه وكرمه تعالى شأنه .

*****

المقالة الثامنة والخمسون
فى صرف النظر عن كل الجهات
وطلب جهة فضل الله تعالى

قال رضى الله عنه وأرضاه : تقام عن الجهات كلها ولا تبصبص على شئ منها ، فما دمت تنظر إلى واحدة منها لا يفتح لك جهة فضل الله ﷻ وقربه ، فسد الجهات جميعاً بتوحيده وإمحاء نفسك ثم فنائك ومحوك وعلمك ، فحينئذ يفتح عين قلبك جهة فضل الله العظيم ، فتراها بعينى رأسك إذ ذاك شعاع نور قلبك وإيمانك ويقينك فيظهر عند ذلك النور من باطنك على ظاهرك كنور الشمعة التى فى البيت المظلم فى الليلة الظلماء ، يظهر من كوى البيت ومنافذه فيشرق ظاهر البيت بنور باطنه ، فتسكن النفس والجوارح إلى وعد الله وعطائه عن عطاء غيره ووعد غيره ﷻ .

وارحم نفسك ولا تظلمها ولا تلقها فى ظلمات جهلك ورعونتك ، فتنظر إلى الجهات وإلى الخلق والحول والقوة والكسب والأسباب فتوكل إليها ، فتسد عنك الجهات ولم تفتح لك جهة فضل الله ﷻ عقوبة ومقابلة لشركك بالنظر إلى غيره ﷻ ، فإذا وجدته ونظرت إلى فضله ورجوته دون غيره وتعاميت عما سواه ، قربك وأدناك ، ورحمك ورباك وأطعمك وسقاك ، وداواك وعفاك ، وأعطاك وأغناك ، فلا ترى بعد ذلك لا فقرك ولا غناك .

*****

المقالة التاسعة والخمسون
فى الرضا على البلية و الشكر على النعمة

قال رضى الله عنه وأرضاه : لا تخلو حالتك إما أن تكون بليـة أو نعمة . فإن كانت بلية فتطالب فيها بالصبر ، وهو الأدنى ، والصبر وهو أعلى منه . ثم الرضا والموافقة ، ثم الفناء ، وهو للأبدال ، وإن كانت نعمة فتطالب فيها بالشكر عليها . والشكر باللسان والقلب والجوارح .

أما باللسان فالاعتراف بالنعمة أنها من الله ﷻ : وترك الإضافة إلى الخلق لا إلى نفسك وحولك وقوتك وكسبك ولا إلى غيرك من الذين جرت على أيديهم ، لأنك وإياهم أسباب وآلات وأداة لها ، وإن قاسمها ومجريها وموجدها والشاغل فيها والمسبب لها هو الله ﷻ والقاسم هو الله ، والمجرى هو والموجد هو ، فهو أحق بالشكر من غيره .

لا نظر إلى الغلام الحمال للهدية إنما النظر إلى الأستاذ المنفذ المنعم بها قال الله تعالى فى حق من عدم هذا المنظر :
﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾
فمن نظر إلى الظاهر والسبب ولم يجاوز علمه ومعرفته فهو الجاهل الناقص قاصر العقل ، إنما سمى العاقل عاقلاً لنظره فى العواقب .

وأما الشكر بالقلب ، فبالاعتقاد الدائم . والعقد الوثيق الشديد المتبرم .

إن جميع ما بك من النعم والمنافع واللذات فى الظاهر والباطن فى حركاتك وسكناتك من الله ﷻ لا من غيره ، ويكون شكرك بلسانك معبراً عما فى قلبك . وقد قال ﷻ : ﴿ **وما بكم من نعمة فمن الله** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ فمع هذا لا يبقى لمؤمن منعم سوى الله تعالى .

وأم الشكر بالجوارح فبأن تحركها وتستعملها فى طاعة الله ﷻ دون غيره من الخلق ، فلا تجيب أحداً من الخلق ، فيما فيه إعراض عن الله تعالى ، وهذا يعم النفس والهوى والإرادة والأمانى وسائر الخليقة ، كجعل طاعة الله أصلاً ومتبوعاً وإماماً وما سواها فرعاً وتابعاً ومأموماً ، فإن فعلت غير ذلك كنت جائراً ظالماً حاكماً بغير حكم الله ﷻ الموضوع لعباده المؤمنين ، وسالكاً غير سبيل الصالحين . قال الله ﷻ : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ وفى آية أخرى : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون** ﴾ وفى أخرى : ﴿ **هم الفاسقون** ﴾ فيكون انتهاؤك إلى التى وقودها الناس والحجارة ، وأنت لا تصبر على حمى ساعة فى الدنيا وأقل بسطة وشرارة من النار فيها ، فكيف صبرك على الخلود فى الهاوية مع أهلها النجا النجا ، الوحا الوحا ، الله الله ، احفظ الحالتين وشروطهما ، فإنك لاتخلو فى جميع عمرك من أحديهما إما البلية وإما النعمة فأعط كل حالة حظها وحقها من الصبر والشكر على ما بينت لك ، فلا تشكون فى حالة البلية إلى أحد من خلق الله ، ولا تظهرن الضجر لأحد ولا تتهمن ربك فى باطنك . ولا تشكن فى حكمته واختر الأصلح لك فى دنياك ،

وآخرتك ، فلا تذهبن بهمتك إلى أحد من خلقه فى معافاتك فذاك إشراك منك به ﷻ ، لا يملك معه ﷻ فى ملكه أحد شيئاً لا ضار ولا نافع ولا دافع ، ولا جالب ولا مسقم ، ولا مبلى ، ولا معاف ولا مبرئ غيره ﷻ ، فلا تشتغل بالخلق لا فى الظاهر ولا فى الباطن ، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً ، بل الزم الصبر والرضا والموافقة والفناء فى فعله ﷻ ، فإن حرمت ذلك كله فعليك بالاستغاثة إليه ﷻ ، والتضرع من شؤم النفس ، ونزاهة الحق ﷻ والاعتراف له بالتوحيد بالنعيم ، والتبرى من الشرك ، وطلب الصبر والرضا والموافقة ، إلى حين يبلغ الكتاب أجله ، فتزول البلية وتنكشف الكربة ، وتأتى النعمة والسعة والفرحة والسرور ، كما كان فى حق نبى الله أيوب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأشرف السلام ، كما يذهب سواد الليل ويأتى بياض النهار ، ويذهب برد الشتاء ويأتى نسيم الصيف وطيبه لأن لكل شئ ضداً وخلافاً وغاية وبدءاً ومنتهى ، فالصبر مفتاحه وابتداؤه وانتهاؤه وجماله كما جاء فى الخبر (الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد) وفى لفظ (الصبر الإيمان كله) وقد يكون الشكر هو التلبس بالنعم وهى أقسامه المقسومة لك ، فشكر التلبس بها فى حال فنائك ، وزوال الهوى والحمية والحفظ ، وهذه حالة الأبدال وهى المنتهى ، اعتبر ما ذكرت لك ترشد إن شاء الله تعالى .

* * * * *

المقالة الستون فى البداية والنهاية

قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه : البداية . هى الخروج من المعهود إلى المشروع ثم المقدور ، ثم الرجوع إلى المعهود . ويشترط حفظ الحدود ، فتخرج من معهودك من المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح والمسكون والطبع والعادة إلى أمر الشرع ونهيه ، فتتبع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما قال الله تعالى : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله** ﴾ فتفنى عن هواك ونفسك ورعونتها فى ظاهرك وباطنك فلا يكون فى باطنك غير توحيدك له وفى ظاهرك غير طاعة الله وعبادته مما أمر ونهى ، فيكون هذا دأبك وشعارك ودثارك فى حركتك وسكونك ، فى ليلك ونهارك ، وسفرك وحضرتك ، وشدتك ورخائك ، وصحتك وسقمك ، وأحوالك كلها ، ثم تحمل إلى وادى القدر فيتصرف فيك القدر ، فتفنى عن جدك واجتهادك وحولك وقوتك ، فتساق إليك الأقسام التى جف بها القلم وسبق بها العلم ، فتلبس بها وتعطى منها الحفظ والسلامة فتحفظ فيها الحدود ويحصل فيها الموافقة لفعل المولى ، ولا تتخرق قاعدة الشرع إلى الزندقة وإباحة المحرم قال تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين** ﴾ فتصحب الحفظ والحمية وإنما هى أقساماً معدة لك ، فحبسها عنك فى حال سيرك وطريقك وسلوكك

فيافى الطبع ومفاوز الهوى المعهود ، لأنها أثقال أحمال ما زيحت عنك ، لئلا يثقلك فتضعفك إلى حين الوصول إلى عتبة الفناء ، وهو الوصول إلى قرب الحق ﷻ والمعرفة به ، والاختصاص بالأسرار والعلوم الدينية ، والدخول فى بحار الأنوار ، حيث لا تضر ظلمة الطبائع والأنوار ، فالطبع باق إلى أن تفارق الروح الجسد لاستيفاء الأقسام ، إذ لو زال الطبع من الآدمى لالتحق بالملائكة وبطلت الحكمة ، فبقى الطبع يستوفى الأقسام والحظوظ ، فيكون ذلك وظائفاً لا أصلياً كما قال النبى ﷺ : (حبب إلى من دنياكم ثلاث : الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة) فلما فنى النبى ﷺ عن الدنيا وما فيها ردت إليه أقسامه المحبوسة عنه فى حال سيره إلى ربه ﷻ ، فاستوفاها موافقة لربه تعالى والرضا بفعله ممتثلاً لأمره ، قدست أسمائه وعمت رحمته ، شمل فضله لأوليائه وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام ، فهكذا الولى فى هذا الباب ترد إليه أقسامه وحظوظه مع حظ الحدود ، فهو الرجوع من النهاية إلى البداية ، والله أعلم .

* * * *

المقالة الحادية والستون
فى التوقف عند كل شئ حتى يتبين له إباحة فعله

قال رضى الله عنه وأرضاه : كل مؤمن مكلف بالتوقف والتفتيش عند حضور الأقسام عن التناول والأخذ ، حتى يشهد له الحكم بالإجابة ، والعلم بالقسمة ، والمؤمن فتاش والمنافق لقاف . وقال ﷺ : (المؤمن وقاف) وقال ﷺ : (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) فالمؤمن يقف عند كل قسم من مأكول ومشروب وملبوس ومنكوح وسائر الأشياء التى تفتح له فلا يأخذ حتى يحكم له بجواز الأخذ والتناول كحكمه إذا كان فى حالة التقوى . أو حتى يحكم له بذلك الأمر إذا كان فى حالة الولاية . أو حتى يحكم العلم فى حالة البدلية والغوثية ، والفعل الذى هو القدر المحض وهى حالة الفناء ، ثم تأتيه حالة أخرى تتناول كل ما يأتيه ويفتح له ما لم يعترض عليه الحكم والأمر والعلم ، فإذا اعترض أحد هذه الأشياء امتنع من التناول ، فهى ضد الأولى .

ففى الأولى الغالب عليه التوقف والتثبت . وفى الثانية الغالب عليه التناول والأخذ والتلبس بالفتوح . ثم تأتى الحالة الثالثة .

فالتناول المحض والتلبس بما يفتح من النعم من غير اعتراض أحد الأشياء الثلاثة وهى حقيقة الفناء ، فيكون المؤمن فيها محفوظاً من الآفات وخرق حدود الشرع مصاناً مصروفاً عنه الأسواء ، كما قال الله تعالى : **﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾** فيصير العبد مع الحفظ عن خرق الحدود

كالمقرض إليه المأذون له والمطلق له فى الإباحــات الميســر لــه الخير ، ما يأتيه قسمه المصفى له من الآفات والتبعات فــى الــدنيا والآخرة ، والموافق لإرادة الحق ورضاه وفعله ولا حالــة فوقهــا وهى الغاية ، وهى الســادة الأوليــاء الكبــار الخلــص أصــحاب الأسرار ، الذين أشرفوا على عتبة أحــوال الأنبيــاء صــلوات الله عليهم أجمعين .

المقالة الثانية والستون
فى المحبة والمحبوب وما يجب فى حقهما

قال رضى الله عنه وأرضاه : ما أكثر ما يقول المــؤمن قــرب فلان وبعدت ، وأعطى فلان وحرمت ، وأغنــى فــلان وأفقــرت وعوفى فلان وأسقمت ، وعظم فلان وحقــرت ، وحمــد فـــلان وذممت ، وصدق فلان وكذبت . أما يعلم أنه الواحد . وأن الواحــد يحب الوحدانية فى المحبة ، ويحب الواحد فى محبته .

إذا قربك بطريق غيره نقصت محبتك له ﷻ وشــعبت فربمــا دخلك الميل إلى من ظهرت المواصلة والنعمة على يديه ، فتــنقص محبة الله فى قلبك ، وهو ﷻ غيور لا يحب شريكه فكــف أيــدى الغير عنك بالمواصلة ولسانه عن حمدك وثنائك ورجليه عن السعى إليك كيــلا تشتــغل به عنه ، أما سمعت قول النبى ﷺ : (جبلت القلوب على حب من أحسن إليها) فهو ﷻ يكــف الخلــق عــن الإحسان إليك من كل وجه وسبب حتى توحده وتحبه ، ونصير لــه من كل وجه بظاهرك وباطنك فى حركاتك وسكناتك ، فــلا تــرى

الخير إلا منه ولا الشر إلا منه ﷻ ، وتفنى عن الخلق وعن النفس ، وعن الهوى والإرادة والمنى ، وعن جميع ما سوى المولى ، ثم يطلق الأيدى إليك بالبسط والبذل والعطاء ، والألسن بالحمد والثناء فيدللك أبداً فى الدنيا ثم فى العقبى ، فلا تسئ الأدب ، انظر إلى من ينظر إليك ، وأقبل على من أقبل إليك ، وأحب من يحبك واستجب من يدعوك وأعط يدك من يثبتك من سقطك ويخرجك من ظلمات جهلك ، وينجيك من هلكك ويغسلك من نجاسك ، وينظفك من أوسخاك ، ويخلصك من جيفك ونتنك ، ومن أوهامك الردية ، ومن نفسك الأمارة بالسوء وأقرانك الضلال المضلين شياطينك ، وأخلائك الجهال قطاع طريق الحق الحائلين بينك وبين كل نفيس وثمين وعزيز .

إلى متى المعاد ، إلى متى الحق ، إلى متى الهوى ، إلى متى الرعونة ، إلى متى الدنيا ، إلى متى الآخرة ، إلى متى سوى المولى ؟ أين انت من خالقك والأشياء ، المكون الأول الآخر الظاهر الباطن ، والمرجع والمصدر إليه ، وله القلوب وطمأنينة الأرواح ومحط الأثقال والعطاء والامتنان ، عز شأنه .

*****

المقالة الثالثة والستون
فى نــوع مــن المعرفــة

قــال رضى الله عنه وأرضاه : رأيت فى المنــام كأنى أقــول يا مشرك بربه فى باطنه بنفسه وفى ظاهره بخلقــه وفــى عملــه بإرادته ، فقال رجل إلى جنبى ما هذا الكلام ؟ فقلت هذا نوع مــن أنواع المعرفة .

المقالة الرابعة والستون
فى الموت الذى لا حياة فيه
والحياة التى لا موت فيها

قال رضى الله عنه وأرضاه : ضاق بى الأمر يوماً فتحرك فــى النفس ، فقيل لى : ماذا تريد ؟ فقلت أريــد موتاً لا حياة فيه وحياة لا موت فيها ؟ فقيل لى : ما الموت الذى لا حياة فيه ومــا الحيــاة التى لا موت فيها ؟ قلت الموت الذى لا حياة فيه موتى عن جنسى من الخلق فلا أراهم فى الضر والنفع ، وموتى عن نفسى وهــوائى وإرادتى ومنائى فى الدنيا والأخرى فــلا أحــس فى جميــع ذلــك ولا أجد .

وأما الحيــاة التى لا مــوت فيــها : فحياتى بفــعل ربــى ﷻ بلا وجودى فيه ، والموت فى ذلك وجودى معه ﷻ ، فكانت هــذه الإرادة أنفس إرادة أردتها منذ عقلت .

المقالة الخامسة والستون
فى النهى عن التسخط على الله
فى تأخير إجابة الدعاء

قال رضى الله عنه وأرضاه : ما هذا التسخط على ربك ﷻ من تأخير إجابة الدعاء ؟ تقول حرم على السؤال للخلق وأوجب على السؤال وأنا أدعوه وهو لا يجيبنى فيقال لك أحر أنت أم عبد فإن قلت أنا حر فأنت كافر وإن قلت أنا عبد لله ، فيقال لك أمتهم أنت لوليك فى تأخير إجابة دعائك وشاك فى حكمته ورحمته بك وبجميع خلقه وعلمه بأحوالهم أو غير متهم له ﷻ ؟ فإن كنت غير متهم له ومقر بحكمته وإرادته ومصلحته لك وتأخير ذلك فعليك بالشكر له ﷻ ، لأنه اختار لك الأصلح والنعمة ودفع الفساد ، وإن كنت متهماً له فى ذلك فأنت كافر بتهمتك له ، لأنك بذلك نسبت له الظلم وهو ليس بظلام للعبيد ، لا يقبل الظلم ويستحيل عليه أن يظلم إذ هو مالكك ومالك كل شئ ، فلا يطلق عليه اسم الظالم ، وإنما الظالم من يتصرف فى ملك غيره بغير إذنه فانسد عليك سبيل التسخط عليه فى فعله فيك بما يخالف طبعك وشهوة نفسك وإن كان فى الظاهر مفسدة لك .

فعليك بالشكر والصبر والموافقة ، وترك التسخط والتهمة والقيام مع رعونة النفس وهواها الذى يضل عن سبيل الله .

وعليك بدوام الدعاء وصدق الالتجاء ، وحُسن الظن بربك ﷻ ، وانتظار الفرج منه ، والتصديق بوعده ، والحياء منه ،

والموافقة لأمره ، وحفظ توحيده والمسارعة إلى أداء أوامره ، والتماوت عن نزول قدره بك وبفعله فيك ، وإن كان لابد أن تتهم وتسئ الظن فنفسك الأمارة بالسوء العاصية لربها عز وجل أولى بهما ، ونسبتك الظلم إليها أحرى من مولاك . فاحذر موافقتها وموالاتها ، والرضى بفعلها وكلامها فى الأحوال كلها ، لأنها عدوة الله وعدوتك ، وموالية لعدو الله وعدوك الشيطان الرجيم ، هى خليلته وجاسوسته ومصافيته ، الله الله ثم الله ، الحذر الحذر النجا النجا ، أتهمها وأنسب الظلم إليها واقرأ عليها قوله عز وجل : **﴿ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم ﴾** وقوله عز وجل : **﴿ إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون ﴾** وغيرها من الآيات والأخبار .

كن مخاصماً لله على نفسك مجادلاً لها عنه عز وجل ، ومحارباً وسيافاً وصاحب جنده وعسكره ، فإنها أعدى عدو الله عز وجل ، قال الله تعالى : **﴿ يا داود اهجر هواك فإنه لا منازع ينازعنى فى ملكى غير الهوى ﴾** .

*****

المقالة السادسة والستون
فى الأمر بالدعاء والنهى عن تركه

قـال رضى الله عنه وأرضاه لا تقل لا أدعـو الله ، فـإن كان ما أسأله مقسوماً فسيأتى إن سألته أو لم أسـأله ، وإن كـان غيـر مقسوم فلا يعطينى بسؤال ، بل اسأله ﷻ جميع ما تريد وتحتـاج إليه من خير الدنيا والآخرة ما لم يكن فيه محرم ومفسـدة لأن الله تعالى أمر بالسؤال له وحث عليه .

قـال تعالى : ﴿ **ادعونى استجب لكم** ﴾ وقال ﷻ : ﴿ **واسئلوا الله من فضله * ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعـض** ﴾ قال النبى ﷺ : (اسـألوا الله وأنتم موقنون بالإجابة) وقال ﷺ : (اسألوا الله ببطون أكفكم) وغير ذلك من الأخبار . ولا تقل إنـى أسأله فلا يعطينى فإذا لا أسأله ، بل دم على دعائه ، فإن كان ذلك مقسوماً ساقه إليك بعد أن تسأله ، فيزيد ذلك إيماناً ويقيناً وتوحيـداً وترك سؤال الخلق والرجوع إليه فى جميع أحوالك وإنزال حوائجك به ﷻ ، وإن لم يكن مقسوماً لك أعطاك الغناء عنه والرضا عنـه ﷻ بالقصص . فإن كان فقراً أو مرضاً أرضاك بهمـا وإن كـان ديناً قلب الدائن من سوء المطالبة إلى الرفق والتأخر والتسهيل إلى حين ميسرتك أو إسقاطه عنك أو نقصه ، فإن لم يسقط ولم يتـرك منه فى الدنيا أعطاك ﷻ ثواباً جزيلاً ما لم يعطك بسـؤالك فـى الدنيا ، لأنه كريم غنى رحيم ، فلا يخيب سائله فى الدنيا والآخـرة فلابد من فائدة ، ونائلة إما عاجلاً وإما آجلاً فقد جاء فى الحديث :

(المؤمن يرى فى صحيفته يوم القيامة حسنات لم يعملها ولم يـدر بها فيقال له أتعرفها ؟ فيقول ما أعرفها من أين لى هذه ؟ فيقال لـه إنها بدل مسألتك التى سألتها فى دار الدنيا) وذلك أنه بسؤال الله ﷻ يكون ذاكراً لله وموحداً وواضع الشئ فى موضعه ، ومعطى الحق أهله ، ومتبرئاً من حوله وقوته ، وتاركاً للتكبر والتعظم والأنفة ، وجميع ذلك أعمال صالحة ثوابها عند الله ﷻ .

المقالة السابعة والستون
فى جهاد النفس وتفصيل كيفيته

قال رضى الله عنه وأرضاه : كلما جاهدت نفسك وغلبتها وقتلتها بسيف المخالفة أحياها الله ، ونازعتك وطلبت منك الشهوات واللذات الجناح منها والمباح ، لتعود إلى المجاهدة ليكتب لك ثواباً دائماً ، وهو معنى قول النبى ﷺ : رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) أراد مجاهدة النفس لدوامها واستمرارها على الشهوات واللذات ، وإنهماكها فى المعاصى ، وهو معنى قوله ﷻ : ﴿ **وأعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ أمر الله ﷻ لنبيه ﷺ بالعبادة وهى مخالفة النفس ، لأن العبادة كلها تأباها النفس وتريد ضدها إلى أن يأتيه اليقين يعنى الموت .

فإن قيل : كيف تأبى نفس رسول الله ﷺ العبادة وهو عليه الصلاة والسلام لا هوى له ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى** ﴾ فيقال أنه ﷻ خاطب نبيه ﷺ ليتقرر به الشرع فيكون عاماً بين أمته إلى أن تقوم الساعة . ثم إن الله ﷻ أعطى

نبيه عليه الصلاة والسلام القوة على النفس والهوى ، كيلا يضـــراه ويحوجاه إلى المجاهدة ، بخلاف أمته ، فإذا دام المؤمن على هــذه المجاهدة إلى أن يأتيه الموت ويلحق بربه ﷻ بسيف مسلول ملطخ بدم النفس والهوى أعطاه ما ضمن له من الجنة ، لقوله ﷻ **﴿ وأما من خاف مقـــام ربه ونهى النفس عن الهوى فـــإن الجنـــة هـــى المأوى ﴾** فإذا أدخله الجنة وجعلها داره ومقره ومصيره ، أمن من التحويل عنها والانتقال إلى غيرها والعودة إلى دار الدنيا جدد لـــه كل يوم وكل ساعة من أنواع النعيم وتغير عليه أنواع الحال والحلى إلى ما لا نهاية ولا غاية ولا نفاد ، كما جدد فى الدنيا كل يوم وكل ساعة ولحظة مجاهدة النفس والهوى .

وأما الكافر والمنافق والعاصى لما تركوا مجاهدة النفس والهوى فى الدنيا وتابعوها ، ووافقوا الشيطان تمرجوا فى أنواع المعاصـــى من الكفر والشرك وما دونهما حتى أتاهم الموت من غير الإســـلام والتوبة ، أدخلهم الله النـــار التى أعـــدت للكافرين فى قوله ﷻ : **﴿ واتقوا النار التى أعدت للكافرين ﴾** فإذا أدخلهم فيهـــا وجعلهـــا مقرهم ومصيرهم ، فأحرقت جلودهم ولحومهم جدد لهم ﷻ جلوداً ولحوماً كما قـــال ﷻ **﴿ كلما نضجت جلـــودهم بـــدلناهم جلـــودا غيرها ﴾** يفعل ﷻ بهم ذلك كما وافقوا أنفسهم وأهواءهم فى الدنيا فى معاصيه ﷻ ، فأهل النار نجدد لهم كل وقـــت جلـــود ولحـــوم لإيصال العذاب والآلام إليهم ، وأهل الجنة يجدد لهم كل وقت نعيم لتتضاعف الشهوات واللذات لديهم . وسبب ذلك مجاهـــدة الـــنفس وعدم موافقتها فى دار الدنيا وهذا معنى قول النبى ﷺ : (الـــدنيا مزرعة الآخرة) .

المقالة الثامنة والستون
فى قوله تعالى : ﴿ كل يوم هو فى شأن ﴾

قال رضى الله عنه وأرضاه : إذا أجاب الله عبداً ما سأله وأعطاه ما طلبه لم تنخرم إرادته ولا ما جف به القلم وسبق به العلم ، لكنه يوافق سؤاله مراد ربه ﷻ فى وقته ، فتحصل الإجابة وقضاء الحاجة فى الوقت المقدر الذى قدره له فى السابقة لبلوغ القدر وقته كما قال أهل العلم قوله ﷻ : **﴿ كل يوم هو فى شأن ﴾** أى يسوق المقادير إلى المواقيت ، يعطى الله أحداً شيئاً فى الدنيا بمجرد دعائه ، وكذلك لا يصرف عنه شيئاً بدعائه المجرد ، والذى ورد فى الحديث (ولا يرد القضاء إلا الدعاء) قيل إن المراد به لا يرد القضاء إلا الدعاء الذى قضى أن يرد لقضائه ، وكذلك لا يدخل أحد الجنة فى الآخرة بعمله ، بل برحمة الله ﷻ ، لكنه يعطى العباد فى الجنة الدرجات على قدر أعمالهم .

وقد ورد فى حديث عائشة رضى الله عنها (أنها سألت النبى ﷺ هل يدخل أحد الجنة بعمله ؟ فقال لا برحمة الله ، فقالت ولا أنت ؟ فقال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته ووضع يده على هامته) وذلك لأن الله ﷻ لا يجب عليه لأحد حق ولا يلزمه الوفاء بالعهد ، بل يفعل ما يريد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء ، ويرحم من يشاء ، فعال لما يريد ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسئلون ، يرزق من يشاء بغير حساب بفضل رحمته ومنته ، ويمنع من شاء بعدله ، وكيف لا يكون كذلك والخلق من لدن العرش إلى الثرى التى هى

الأرض السابعة السفلى ملكه وصنعه ، لا مالك لهم غيره ولا صانع لهم غيره ، قــال ﷻ **﴿ هل من خالق غير الله ﴾** وقــال تعالى : **﴿ أءله مع الله ﴾** وقــال تعالى **﴿ هل تعلم له سميا ﴾** وقال تعــالى **﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملــك ممــن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شئ قدير ۞ تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحــى وترزق مــن تشــاء بغــير حساب ﴾** .

المقالة التاسعة والستون فى الأمر بطلب المغفرة والعصمة والتوفيق والرضا والصبر من الله تعالى

قال رضى الله عنه وأرضاه : لا تطلبن مــن الله شــيئاً ســوى المغفرة للذنوب السابقة والعصمة منها فى الأيام الآتيــة اللاحقــة ، والتوفيق لحُسن الطاعة ، وامتثال الأمر والرضــا بمــر القضــاء والصبر على شدائد البلاء ، والشكر على جزيل النعماء والعطاء ثم الوفاة بخاتمة الخير ، واللحوق بالأنبيــاء والصــديقين والشــهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ولا تطلب منه الدنيا ولا كشف الفقر والبلاء إلى الغناء والعافية ، بــل الرضا بمــا قســم ودبــر ، واسألــه الحفظ الدائــم على مــا أقامــك فيه وأحــلك وابــتلاك ، إلى أن ينقلك منــه إلى غــيره وضده ، لأنــك لا تعــلم الخــير فى أيهما ، فى الفقر أو فى الغنــاء ، فى البــلاء أو فى العافيــة ،

طوى عنك علم الأشياء وتفرد هو ﷻ بمصالحها ومفاسدها .

فقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا أبالى على أى حال أصبح ، على ما أكره أو على ما أحب ، لأنى لا أدرى الخير فى أيهما . قال ذلك لحسن رضاه بتدبير الله ﷻ ، والطمأنينة على اختياره وقضائه . قال الله تعالى **﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم ۞ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ۞ والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾** .

كن على هذا الحال إلى أن يزول هواك وتنكسر نفسك فتكون ذليلة مغلوبة تابعة ثم تزول إرادتك وأمانيك ، وتخرج الأكوان من قلبك ولا يبقى فى قلبك شئ سوى الله تعالى ، فيمتلئ قلبك بحب الله تعالى ، وتصدق إرادتك فى طلبه ﷻ فيرده إليك الإرادة بأمره بطلب حظ من الحظوظ دنيوية وأخروية ، فحينئذ تسأله ﷻ بذلك وتطلبه ممتثلاً لأمره ، إن أعطاك شكرته وتلبست به ، وإن منعك لم تتسخط عليه ولم تتغير عليه فى باطنك ولا تتهمه فى ذلك ببخل ، لأنك لم تكن طلبته بهواك وإرادتك ، لأنك فارغ القلب عن ذلك غير مريد له ، بل ممتثلاً لأمره بالسؤال والسلام .

* * * * *

المقالة السبعون
فى الشكر والاعتراف بالتقصير

قال رضى الله عنه وأرضاه :

كيف يحسن منك العجب فى أعمالك ورؤية نفسك فيها وطلب الأعواض عليها ، وجميع ذلك بتوفيق الله تعالى وعونه وقوته وإرادته وفضله ، وإن كان ترك معصيته فبعصمته وحفظه وحميته .

أين أنت من الشكر على ذلك والاعتراف بهذه النعم أو لاكها ، ما هذه الرعونة والجهل ، تعجب بشجاعة غيرك وسخائه وبذل ماله إذا لم تكن قائلاً بعودك إلا بعد معاونة شجاع ضرب فى عدوك ثم تمنيت قتله ، لولاه كنت مصروعاً مكانه وبدله ، ولا باذلاً لبعض مالك إلا بعد ضمان صادق كريم أمين ضمن لك عوضه وخلفه ، لولا قوله وطمعك فيما وعدلك وضمن لك ما بذلت حبة منه ، كيف تعجبك بمجرد فعلك .

أحسن حالك الشكر والثناء على المعين والحمد لله الدائم وإضافة ذلك إليه فى الأحوال كلها إلا الشر والمعاصى واللوم ، فإنك تضيفها إلى نفسك وتنسبها إلى الظلم وسوء الأدب وتتهمها به ، فهى أحق بذلك لأنها مأوى لكل شر وأمارة بكل سوء وداهية وإن كان هو ﷻ خالقك وخالق أفعالك مع كسبك ، أنت الكاسب وهو الخالق كما قال بعض العلماء بالله ﷻ : تجئ ولابد منك ،

وقولــه ﷺ (اعملوا وقــاربوا وســددوا فكــل ميــسر لمــا خلق لــه) .

المقالة الحادية والسبعون
فى المريد والمراد

قال رضى الله عنه وأرضاه : لا يخلو إما أن تكــون مريــداً أو مراداً .

فإن كنت مريداً فأنت محمل وحمال يحمل كل شديد وثقيل ، لأنك طالب والطالب مشقوق عليه حتى يصــل إلــى مطلوبــه ويظفــر بمحبوبه ويدرك مرامه ، ولا ينبغى لك أن تنفر من بلاء ينزل بــك فى النفس والمال والأهل والولد ، إلى أن يحط عنــك الأعمــال ، ويزال عنك الأثقــال ، ويرفع عنــك الآلام ويــزال عنــك الأذى والإذلال ، فتصان عن جميع الرذائل والأدران والأوساخ والمهانات والافتقار إلى الخليقة والبريات ، فتــدخل فــى زمــرة المحبــوبين المدللين المرادين .

وإن كنت مــراداً فــلا تتهمن الحــق ﷻ فى إنــزال البليــة بك أيضاً ، ولا تشكــن فى منزلتــك وقــدرك عنده ﷻ ، لأنــه قــد يبتليك ليبلغك مبلغ الرجــال ، ويرفع منزلتــك إلــى منــازل الأولياء .

أتحب ما يحط منزلتك عن منازلهم ودرجاتك عن درجــاتهم وأن تكون خلعتك وأنوارك ونعيمك دون ما لهم ، فــإن رضــيت أنــت بالدون فالحق ﷻ لا يرضى لك بذلك . قال تعــالى ﴿ والله يعلــم

وأنتم لا تعلمون ﴾ يختار لك الأعلى والأسنى والأرفع والأصلح وأنت تأبى .

فإن قلت : كيف يصلح ابتلاء المراد مع هذا النعيم والبيان مع أن الابتلاء إنما هو للمحب ، والمدلل إنما هو المحبوب .

يقال لك ذكرنا الأغلب أولاً وسمرنا بالنادر الممكن ثانياً .

لا خلاف أن النبى ﷺ كان سيد المحبوبين أشد الناس بلاء ، وقد قال ﷺ (لقد خفت فى الله ما لا يخافه أحد ، ولقد أوذيت فى الله لم يؤذه أحد ، ولقد أتى على ثلاثون يوماً وليلة وما لنا طعام إلا شئ يواريه إبط بلال) وقد قال ﷺ (إنا معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل) وقد قال ﷺ (أنا أعرفكم بالله وأشدكم منه خوفاً) فكيف يبتلى المحبوب ويخوف المدلل المراد ولم يكن ذلك إلا بما أشرنا إليه من بلوغ المنازل العالية فى الجنة لأن المنازل فى الجنة لا تشيد ولا ترفع بالأعمال فى الدنيا .

الدنيا مزرعة الآخرة ، وأعمال الأنبياء والأولياء بعد أداء الأوامر وانتهاء النواهى والصبر والرضا والموافقة فى حالة البلاء يكشف عنهم البلاء ويواصلون بالنعيم والفضل والدلال واللقاء أبد الآباد ، والله أعلم .

* * * * *

المقالة الثانية والسبعون
فيمن إذا دخل الأسواق ومال إلى ما فيها
ومن إذا دخلها وصبر

قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه : الذين يدخلون الأسواق من أهل الدين والنسك فى خروجهم إلى أداء ما أمر الله تعالى من صلاة الجمعة ، الجماعة وقضاء حوائج تسنح لهم على أضرب :

منهم من إذا دخل السوق ورأى فيه من أنواع الشهوات واللذات تقيد بهما وعلقت بقلبه فتن ، وكان ذلك سبب هلاكه وتركه دينه ونسكه ورجوعه إلى موافقة طبعه وإتباع هواه إلا أن يتداركه ﷻ برحمته وعصمته وإصباره إياه عنها فتسلم .

ومنهم من إذا رأى ذلك كاد أن يهلك بها رجع إلى عقله ودينه وتصبر وتجرع مرارة تركها ، فهو كالمجاهد ينصره الله تعالى على نفسه وطبعه وهواه ، ويكتب له الثواب الجزيل فى الآخرة .

كما جاء فى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال : (يكتب للمؤمنين بترك شهوة عند العجز عنها أو عند المقدرة سبعون حسنة) أو كما قال .

ومنهم من يتناولها ويتلبس بها ويحصلها بفضل نعمة الله ﷻ التى عنده من سعة الدنيا والمال ، ويشكر الله ﷻ عليها .

ومنهم من لا يراها ولا يشعر بها ، فهو أعمى عن ما سوى الله ﷻ ، فلا يرى غيره ، وأصم عما سواه فلا يسمع من غيره ، عنده شغل عن النظر إلى غير محبوبه واشتهائه ، فهو فى معزل عما

العالم فيه فإذا رأيته وقد دخل السوق فسألته عما رأى فى السوق يقول ما رأيت شيئاً . نعم قد رأى الأشياء لكن قد رآها ببصر رأسه لا ببصر قلبه ، ونظرة فجاءة لا نظرة شهوة ، نظر صورة لا نظر معنى ، نظر الظاهر لا نظر الباطن ، فبظاهره ينظر إلى ما فى السوق وبقلبه ينظر إلى ربه ﷻ ، إلى جلاله تارة وإلى جماله تارة أخرى .

ومنهم من إذا دخل السوق امتلأ قلبه بالله ﷻ رحمة لهم ، فتشغله الرحمة لهم عن النظر إلى ما لهم وبين أيديهم فهو فى حين دخوله إلى حين خروجه فى الدعاء والاستغفار والشفاعة لأهله والشفقة والرحمة عليهم ولهم ، رعينة مغزورة ولسانه فى ثناء وحمد لله ﷻ بما أولى الكافة من نعمه وفضله فهذا يسمى شحنة البلاد والعباد ، وإن شئت سميته عارفاً وبدلاً وزاهداً وعالماً غيباً وبدلاً محبوباً مراداً ونائباً فى الأرض على عباده ، وسفيراً وجهبذاً ونفاذاً وهادياً ومهدياً ودالاً ومرشداً فهذا هو الكبريت الأحمر وبيضة العقعق ، رضوان الله عليه وعلى كل مؤمن مريد لله وصل إلى انتهاء المقام ، والله الهادى .

*****

المقالة الثالثة والسبعون
فى قسم من الأولياء قد يطلعه الله على عيوب غيرهم

قال رضى الله عنه وأرضاه :

قد يُطلع الله تعالى وليه على عيوب غيره وكذبه ودعوته وشركه فى أفعاله وأقواله وإضماره ونيته ، فيغار ولى الله لربه ولرسوله ودينه فيشتد غضب باطنه ثم ظاهره حاضراً وغائباً ، كيف يدعى السلامة مع العلل والأوجاع الباطنة والظاهرة ؟ وكيف يدعى التوحيد مع الشرك ، والشرك كفر وبعد عن قرب الله وهو صفة العدو والشيطان اللعين ، والمنافقين المقطوع لهم بالدرك الأسفل من النار والخلود فيها فيجرى على لسان الولى ذكر عيوبه وأفعاله الخبيثة ووقاحته بعريض دعاويه أحوال الصديقين ومزاحمته للفانين فى قدر الله وفعله ، والمراد من على وجه الغيرة لله ﷻ ، مرة على وجه الإنكار له والموعظة له أخرى ، وعلى وجه الغلبة بفعل الله ﷻ وإرادته وشدة غضبه على الكذب أخرى فيضاف إلى الله ﷻ غيبة ، فيقال أيغتاب الولى وهو يمنع منها أو يذكر الغائب والحاضر بما يظهر عند الخواص والعوام ؟ فيصير ذلك الإنكار فى حقهم كما قال الله ﷻ ﴿ **وإثمهما أكبر من نفعهما** ﴾ فى الظاهر إنكار المنكر وفى الباطن إسخاط الرب والاعتراض عليه فيصير حاله الخيرة ، فيكون فرضه فيها السكوت والتسليم وطلب المساعى لذلك فى الشرع ، والجواز لا الاعتراض على الرب والولى يطعنان لافترائه وكذبه ، وقد يكون ذلك سبباً لإقلاعه وتوبته

ورجوعه عن جهلـــه وحيرته ، فيكون كرهـــاً للولى نفعاً للمغرور الهالك بغروره ورعونته . ﴿ **والله يهدى من يشـــاء إلـــى صـــراط مستقيم** ﴾ .

المقالة الرابعة والسبعون فيما ينبغى للعاقل أن يستدل به على وحدانية الله تعالى

قال رضى الله عنه وأرضاه : أول ما ينظر العاقل فـــى صـــفة نفسه وتركيبه ثم فى جميع المخلوقات والمبدعات فيستدل بذلك على خالقها ومبدعها ، لأن فيه دلالة على الصانع وفى القدرة المحكمـــة آية على الحكيم ، فإن الأشياء كلها موجودة به .

وفى معناه ما ذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما فى تفســـير قوله تعالى ﴿ **وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعـــاً منه** ﴾ فقال فى كل شئ اسم من أسمائه واسم كل شئ من اســـمه ، فإنما أنت بين أسمائه وصفاته وأفعاله ، بـــاطن بقدرتـــه وظـــاهر بحكمته ، ظهر بصفاته وبطن بذاته حجب الذات بالصفات وحجـــب الصفات بالأفعـــال ، وكشـــف العـــلم بـــالإرادة وأظهـــر الإرادة بالحركات ، وأخفى الصنع والصنيعة وأظهر الصـــنعة بـــالإرادة ، فهو باطن فى غيبه وظاهر فى حكمته وقدرتـــه ﴿ **ليس كمثله شئ وهو السميع البصير** ﴾ .

ولقد أظهر فى هذا الكلام من أسرار المعرفة ما لا يظهر إلا من مشكاة فيها مصباح ، أمره برفع يد العصمة اللهم فقهه فـــى الـــدين

وعلمه التأويل ، أنالنا الله تعالى بركاتهم وحشـرنا فـى زمـرتهم وحرمتهم آمين .

* * * * *

المقالة الخامسة والسبعون
فى التصوف وعلى أى شئ مبناه

قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه :

أوصيك بتقوى الله وطاعته ، ولزوم ظـاهر الشـرع وسـلامة الصدر ، وسخاء النفس ، وبشاشة الوجه ، وبدل النـدى ، وكـف الأذى ، وتحمل الأذى والفقر ، وحفظ حرمات المشايخ والعشرة مع الإخـوان ، والنصيحة للأصاغـر والأكابـر ، وترك الخصومة . والإرفـاق ، وملازمـة الإيـثار ومجانبـة الإدخـار ، وتـرك صحبـة مـن ليـس مـن طبقتهم ، والمعاونـة فى أمـر الـدين والدنيا .

وحقيقة الفقر أن لا تفتقر على من هو مثلك وحقيقـة الغنـى أن تستغنى عمن هو مثلك .

والتصوف ليس أخذ عن القيل والقال ولكن أخذ عن الجوع وقطع المألوفات والمستحسنات ، ولابتداء الفقير بالعلم وإبدائه بـالرفق ، فإن العلم يوحشه والرفق يؤنسه .

والتصوف مبنى على ثمـان خصـال (**السخـاء**) لسـيدنا إبراهيم عليه السلام (**والرضا**) لإسحق عليه السلام (**والصبر**) لأيـوب عليه السلام (**والإشارة**) لزكريا عليه السلام (**والغربة**) ليحيى عليه السلام (**والتصوف**)

لموسى عليه السلام (**والسياحة**) لعيسى عليه السلام (**والفقـر**) لسيدنا ونبينا محمد ﷺ وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين وآل كل وصحب كل وسلم أجمعين .

المقالة السادسة والسبعون
فى الوصية

قال رضى الله عنه وأرضاه : أوصيك أن تصحب الأغنياء بالتعزز ، والفقراء بالتذلل ، وعليك بالتذلل والإخلاص ، وهو دوام رؤية الخالق ، ولا تتهم الله فى الأسباب واستكن إليه فى جميع الأحوال ، ولا تضع حق أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه من المودة .

وعليك بصحبة الفقراء بالتواضع وحُسن الأدب والسخاء ، وأمت نفسك حتى تحيى ، وأقرب الخلق من الله تعالى أوسعهم خلقاً ، وأفضل الأعمال : رعاية السر عن الالتفات إلى ما سوى الله تعالى .

وعليك بالحق والصبر ، وحسبك من الدنيا شيئان : صحبة فقير وخدمة ولى ، والفقير هو الذى لا يستغنى بشئ دون الله تعالى .

والصولة على من هو دونك ضعف ، وعلى من هو فوقك فخر ، وعلى من هو مثلك سوء خلق .

والفقر والتصوف جدان فلا تخلطهما بشئ من الهزل ، وفقنا الله وإياكم والمسلمين آمين .

يا ولى عليك بذكر الله فى كل حال فإنه للخير جامع . وعليك بالاعتصام بحبل الله فإنه للمضار دافع . وعليك بالتأهب لتلقى موارد القضاء فإنه واقع .

واعلم أنك مسئول عن حركاتك وسكناتك ، فاشتغل بما هو أولى فى الوقت وإياك وفضول تصرفات الجوارح .

وعليك بطاعة الله ورسوله ومن والاه وأد إليه حقه ولا تطالبه بما يجب عليه ، وادع فى كل حال .

وعليك بحسن الظن فى المسلمين وإصلاح النية لهم ، وتسعى بينهم فى كل خير ، وأن لا تبيت ولأحد فى قلبك شر ولا شحناء ولا بغض ، وأن تدعو لمن ظلمك ، وراقب الله ﷻ .

وعليك بأكل الحلال ، والسؤال لأهل العلم بالله فيما لا تعلم ، وعليك بالحياء من الله سبحانه وتعالى .

واجعل صحبتك مع من الله معه وأصحب من سوى الله بصحبته ، وتصدق فى كل صباح بقرصك وإذا أمسيت فصل صلاة الجنازة على كل من مات من المسلمين فى ذلك اليوم وإذا صليت المغرب فصلاة الاستخارة وتقول بكرة وعشيا سبع مرات (اللهم أجرنا من النار) وحافظ على قول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ﴿ **هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم** ﴾ إلى آخر سورة الحشر ، والله الموفق والمعين ، إذ لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

* * * * *

المقالة السابعة والسبعون
فى الوقوف مع الله والفناء عن الخلق

قال رضى الله عنه وأرضاه : كن مع الله عز وجل كأن لا خلق ، ومع الخلق كأن لا نفس ، فإذا كنت مع الله عز وجل بلا خلق وجدت ، وعن الكل فنيت . وإذا كنت مع الخلق بلا نفس عدلت وبقيت ومن التبعات سلمت ، واترك الكل على باب خلوتك ، وأدخل وحدك تر مؤنسك فى خلوتك بعين سرك ، وتشاهد ما وراء العيان ، وتزول النفس ويأتى مكانها أمر الله وقربه ، فإذن جهلك علم ، وبعدك قرب ، وصمتك ذكر . ووحشتك أنس .

يا هذا : ما ثم إلا خلق وخالق ، فإذا اخترت الخالق فقل لهم (فإنهم عدو لى إلا رب العالمين) .

ثم قال رضي الله عنه وأرضاه : من ذاق عرف ، فقيل له : من غلبت عليه مرارة صفرته كيف يجد حلاوة الذوق ؟ فقال يتعمل فى الشهوات من قبله بقصد وتكلف .

يا هذا : المؤمن إذا عمل صالحاً انقلبت نفسه قلباً وأدرك مدركات قلب ، ثم انقلب قلبه سراً ثم انقلب الفناء فصار وجوداً وبقاء .

ثم قال رضي الله عنه وأرضاه : الأحباب يسعهم كل باب .

يا هذا : الفناء إعدام الخلائق ، وانقلاب طبعك عن طبع الملائكة ، ثم الفناء عن طبع الملائكة ، ثم لحوقك بالمنهاج الأول ، وحينئذ يسقيك ربك ما يسقيك ، ويزرع فيك ما يزرع .

إن أردت هذا فعليك بالإسلام ثم الاستسلام ، ثم العلم بـــالله ثـــم المعرفة ثم الوجود . وإذا كان وجودك له كان كلك له .

الزهد عمل ساعة ، والورع عمل ساعتين والمعرفة عمل الأبد :

*****

المقالـــة الثامنة والسبعون
فى أهــل المجاهــدة والمحاسبـــة
وأولى العزم وبيان خصالهم

قال رضى الله عنه وأرضاه : لأهل المجاهدة والمحاسبة وأولـــى العزم عشر خصال جربوها ، فإذا أقاموهـــا وأحكموهـــا بـــإذن الله تعالى وصلوا إلى المنازل الشريفة :

(الأولى) أن لا يحـــلف بالله ﷻ صادقاً ولا كـــاذباً عامـــداً ولا ساهياً ، لأنه إذا أحكم ذلك من نفسه وعود لسانه رفعـــه ذلـــك إلى ترك الحلف ساهياً وعامداً ، فـــإذا اعتـــاد ذلك فتـــح الله لـــــه باباً مـــن أنـــواره يعـــرف منفعة ذلك فى قلبـــــه ، ورفعـــه فـــى درجة وقـــوة فى عزمه وفى صبره والثنـــاء عنـــد الإخـــــوان ، والكرامة عنـــد الجـــبران حتى يأتـــم بـــه من يعرفـــه ويهابه من يراه .

(الثانية) يجتنب الكذب لا هازلاً ولا جاداً ، لأنه إذا فعل ذلـــك وأحكمه من نفسه واعتاده لسانه شـــرح الله تعالى به صدره وصفا بـــه علمه ، كأنه لا يعرف الكذب ، وإذا سمعه من غـــيره عـــاب

ذلك عليه وعيره بـه فى نفسه ، وإن دعـا لـه بزوال ذلك كـان لـه ثواب .

(الثالثة) أن يحذر أن يعد أحداً شيئاً فيخلفه ، ويقطع العدة البتة فإنه أقوى لأمره وأقصد بطريقه ، لأن الخلف من الكذب فإذا فعل ذلك فتح لـه باب السخـاء ودرجـة الحيـاء وأعطى مودة فى الصادقين ورفعه عند الله جل ثناؤه .

(الرابعة) أن يجتنب أن يلعن شيئاً من الخلق ، أو يـؤذى ذرة فما فوقها ، لأنها من أخلاق الأبرار والصديقين ، وله عاقبة حسنة فى حفظ الله تعالى فى الدنيا مع ما يدخر له من الدرجات ، ويستنقذ من مصارع الهلاك ، ويسلمه من الخلق ، ويرزقه رحمة العبـاد ، ويقربه منه ﷻ .

(الخامسـة) أن يجتنب الدعاء على أحـد من الخلق وأن ظلمه فلا يقطعه بلسانه ، ولا يكافئه بقول ولا فعل ، فإن هـذه الخصـلة ترفع صاحبها إلى الدرجات العلى . وإذا تأدب بهـا ينـال منزلـة شريفة فى الدنيا والآخرة ، والمحبة والمودة فـى قلـوب الخلـق أجمعين من قريب وبعيد ، وإجـابة الدعوة والغلوة فـى الخلـق ، وعز فى الدنيا فى قلوب المؤمنين .

(السادسة) أن لا يقطع الشهادة على أحد من أهل القبلة بشرك ولا كفر ولا نفـاق ، فإنـه أقـرب للرحمة ، وأعلى فى الدرجـة وهى تمام السنة ، وأبعـد عـن الدخـول فى علم الله ، وأبعـد من مقـت الله وأقرب إلى رضاء الله تعالى ورحمته ، فإنـه بـاب شريف كريـم على الله تعـالى يورث العبـد الرحمـة للخلـق أجمعين .

(**السابعة**) أن يجتنب النظر إلى المعاصـــي ويكـــف عنهـــا جوارحه ، فإن ذلك من أسرع الأعمال ثواباً فى القلب والجــوارح فى عاجل الدنيا ، مع ما يدخره الله له من خير الآخرة .

نسأل الله أن يمن علينا أجمعين ويعلمنا بهــذه الخصـــال ، وأن يخرج شهواتنا عن قلوبنا .

(**الثامنة**) يجتنب أن يجعل على أحد من الخلــق منـــه مؤنـــة صغيرة ولا كبيرة ، بل يرفع مؤنته عن الخلق أجمعين مما احتـــاج إليه واستغنى عنه ، فإن ذلك تمام عزة العابدين وشرف المتقـــين ، وبه يقوى على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ويكون الخلق عنده أجمعين بمنزلة واحدة ، فإذا كان كذلك نقله الله إلـــى الغنـــاء واليقين والثقة به ﷻ ، ولا يرفع أحداً سواه ، وتكون الخلق عنـــده فى الحق سواء ، ويقطع بأن هذه أسباب عـــز المـــؤمنين وشـــرف المتقين ، وهو أقرب باب الإخلاص .

(**التاسعة**) ينبغى له أن يقطع طعمه من الآدميين ، ولا يطمـــع نفسه فيما فى أيديهم ، فإنه العز الأكبر ، والغنى الخاص ، والملـــك العظيم ، والفخر الجليل ، واليقـــين الصـــافى ، والتوكـــل الشـــافى الصريح وهو باب من أبواب الثقة بالله ﷻ ، وهو باب من أبواب الزهد ، وبه ينال الورع ويكمل نسكه ، وهو من علامات المنقطعين إلى الله ﷻ .

(**العاشرة**) التواضع لأن بـــه يشـــيد محـــل العابـــد وتعلـــو منزلتـــه ، ويستكمـــل العـــز والرفعة عنـــد الله ســـبحانه وعنـــد الخلـــق ، ويقـــدر على ما يريـــد من أمر الدنيا والآخـــرة وهـــذه الخصلة أصل الخصال وكلها وفرعها وكمالها ، وبها يدرك العبـــد

منازل الصالحين الراضين من الله تعالى فى السراء والضراء وهى كمال التقوى .

والتواضع : هو أن لا يلقى العبد أحداً من الناس إلا رأى له الفضل عليه ، ويقول عسى أن يكون عند الله خيراً منى وأرفع درجة ، فإن كان صغيراً قال هذا لم يعص الله تعالى وأنا قد عصيت فلا شك أنه خير منى ، وإن كان كبيراً قال هذا عبد الله قبلى ، وإن كان عالماً هذا أعطى ما لم أبلغ ، ونال ما لم أنل ، وعلم ما جهلت ، وهو يعمل بعلمه وإن كان جاهلاً قال هذا عصى الله يجهل وأنا عصيته بعلم ، ولا أدرى بما يختم لى وبم يختم له ، وإن كان كافراً قال لا أدرى عسى أن يسلم فيختم له بخير العمل ، وعسى أن أكفر فيختم لى بسوء العمل ، وهذا باب الشفقة والوجل ، وأولى ما يصحب وآخر ما يبقى على العباد ، فإذا كان العبد كذلك سلمه الله تعالى من الغوائل ، وبلغ به منازل النصيحة لله ﷻ وكان من أصفياء الرحمن وأحبائه ، وكان من أعداء إبليس عدو الله لعنه الله وهو باب الرحمة ومع ذلك يكون قطع باب الكبر وجبال العجب ، ورفض درجة العلو فى نفسه فى الدين والدنيا والآخرة ، وهو مخ العبادة ، وغاية شرف الزاهدين ، وسيما الناسكين ، فلا شئ منه فضل ، ومع ذلك يقطع لسانه عن ذكر العالمين وما لا يعنى ، فلا يتم له عمل إلا به ، ويخرج الغل والكبر والبغى من قلبه فى جميع أحواله ، وكان لسانه فى السر والعلانية واحداً ، ومشيئته فى السر والعلانية واحدة ، وكلامه كذلك ، والخلق عنده فى النصيحة واحد ، ولا يكون من الناصحين ، وهو يذكر أحداً من خلق الله بسوء أو يعيره بفعل ، أو يحب أن يذكره عنده واحد

بسوء . وهذه آفة العابدين ، وعطب النساك ، وهلاك الزاهدين إلا من أعانه الله تعالى وحفظ لسانه وقلبه برحمته وفضله وإحسانه .

*****

تكملة فى ذكر وصاياه لأولاده قدست أسرارهم وبعض مقالات نافعة أوردها ومرضه ووفاته رضى الله عنه وأرضاه

إنه رضى الله تعالى عنه وأرضاه لما مرض مرضه الذى مات فيه وقال له ابنه عبد الوهاب قدس سره ، أوصنى يا سيدى بما أعمل به بعدك فقال ﷺ وأرضاه : عليك بتقوى الله ﷻ ، ولا تخف أحداً سوى الله ، ولا ترج أحداً سوى الله ، وكل الحوائج إلى الله ﷻ ، ولا تعتمد إلا عليه ، واطلبها جميعاً منه تعالى ، ولا تتكل على أحد غير الله سبحانه ، التوحيد التوحيد جماع الكل .

وقال ﷺ وأرضاه : إذا صح القلب مع الله ﷻ لا يخلو منه شئ ولا يخرج منه شئ .

وقال ﷺ وأرضاه : أنا لب بلا قشر .

وقال ﷺ لأولاده : أبعدوا من حولى فإنى معكم بالظاهر ومع غيركم بالباطن .

وقـــال ﷺ : قـــد حضر عنــــدى غــــيركم فأوســـعوا لهـــم وتأدبـــوا معهـــم ، ههـــنا رحمـــة عظيمة ، ولا تضـــيقوا علـــيهم المكان .

وكان رضى الله تعالى عنه يقول : عليكم الســـلام ورحمـــة الله وبركاته ، غفر الله لى ولكم ، تاب الله على وعليكم ، بسم الله غير مودعين . قال ذلك يوماً وليلة .

وقال رضى الله تعالى عنه : ويلكـــم أن لا أبالى بشئ ، لا بملك ولا بملك المـــوت ، منـــح لنـــا من يتولانـــــا ســـواك ، وصـــاح صيحة عظيمة وذلك فى اليـــوم الـــذى مـــات في عشيـــته ﷺ .

وأخبر ولداه الشيخ عبد الرزاق والشيخ موسى قدست أسرارهما أن حضرة الغوث ﷺ كان يرفع يديه ويمدها ويقـــول ، وعلـــيكم السلام ورحمة الله وبركاته : توبـــوا وادخلوا فى الصف إذا جـــئ إليكم .

وكان ﷺ يقول : أوقفوا ، ثم أتاه الحق وسكرة الموت .

وقال ﷺ : بينى وبينكم وبين الخلق كلهم بعد ما بـــين الســـماء والأرض ، فلا تقيسونى بأحد ولا تقيسونا على أحد ، ثم سأله ولده الشيخ عبد العزيز قدس سره عن ألمه وحاله فقال ﷺ ، لا يسألنى أحد عن شئ ، أنا أتقلب فى علم الله ﷻ .

وقال ﷺ وقد سأله ولده الشيخ عبد العزيز قدس سره أيضاً عن مرضه ، فقال ﷺ : إن مرضى لا يعلمه أحد ولا يعقله أحد إنـــس ولا جن ولا ملك ، ما ينقص علم الله بحكم الله ، الحكم يتغير والعلم لا يتغـــير (يمحو الله ما يشـــاء ويثبت وعنـــده أم الكتاب ــ و ــ لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون) أخبار الصفات تمر كما جاءت .

وسأله ولـــده الشيخ عبد الجبار قدس سره : ماذا يؤلمـــك فـــى جسمك ؟ فقال ﷺ : جميع أعضائى تؤلمنى إلا قلبى فما بـــه ألـــم وهو مع الله ﷻ ، ثم أتاه الموت فكان ﷺ يقول : استعنت بلا إله إلا الله سبحانه وتعالى ، والحى الذى لا يخشى الموت ، سبحان من تعزز بالقدرة وقهـــر عبـــاده بـــالموت ، لا إلـــه إلا الله محمـــد رسول الله .

وأخبر ولده الشيخ موسى قدس سره أنه قال : لما قربـــت وفـــاة حضرة الشيخ ﷺ وأرضاه كان يقول : تعزز ولـــم يؤدهـــا علـــى الصحة فمازال يكررها حتى إذا قال تعزز ومد بها صوته وشـــدها حتى صاح لسانه ، ثـــم قـــال الله الله ثم خفى صـــوته ولســـانه ملتصق بسقف حلقـــه ، ثم خرجت روحه الكريمـــة رضـــوان الله تعالى عليه .

*****

فى بيان تاريخ وفاته وولادته وكم له من العمر حين دخل بغداد وكم عاش قدس الله سره ورضى عنه

(**فأما ولادته** ﷺ) ففى عام أربعمائة وسبعين .

(**وأما وفاته**) ﷺ فى عام خمسمائة واحد وستين .

(**وأما عمره**) ﷺ فأحد وتسعون سنة .

ودخل بغداد ، وله من العمر ثمانية عشر سنة .

ولله در بعضهم حيث جمع ذلك كله ، يعنى تاريخ الولادة والوفاة والعمر فى بيت مفرد حيث قال :

إن باز الله سلطان الرجال   جاء فى عشق ومات فى كمال

فعلى هذا كلمة (**عشق**) عددها بالجمل أربعمائة وسبعين ، فهو تاريخ الولادة ، وكلمة (**كمال**) ، أحد وتسعون فهو قدر العمر .

وإذا ضمينا كلمة (**عشق**) مع كلمة (**كمال**) يكون الحاصل من العدد خمسمائة وأحد وستون ، فهو تاريخ الوفاة ، وكذا حققه فى (**البهجة ، وقلائد الجواهر ، ونزهة الخواطر**) والله أعلم .

*****

فى بيان تكملة نسب حضرة الغوث قدس سره من والدته أيضاً رضى الله عنها

قــد تقدم نسب حضرة المؤلف قدس الله سره ورضى عنه وعنا به ، الذى من جهة والده قدس الله سره متصل بحضرة سيدنا أميــر المؤمنين الحسن السبط ﷺ .

وليعلم أيضاً أن نســبه الشريف متصل بحضرة ســيد الشــهداء أبى عبد الله الحسين ﷺ ، وذلك من جهة والدته الكريمة رضى الله عنها .

فكان الغرض من ذكر آخر الكتاب للمناســبة الواضــحة وهــى تقــدم الذكــور على الإناث طبعاً ، وأن سيدنا الحســن ﷺ أكبــر سناً من حضرة سيدنا الحسين ﷺ ، ولأن يكون التأليف محصــناً مسوراً من أوله وآخره بالنسبين الشريفين .

وأيضاً حضرة الشيخ المشار إليه نسبه العالى له اتصال بحضرة خليفة رسول الله ﷺ ورفيقه فى الغار أمير المؤمنين سيدنا أبى بكر الصديق ﷺ .

فأقول وبالله العون ومنه التوفيق لأقوم طريق .

اعلم أن حضرة قطب العارفين الشيخ عبد القادر الكيلانى قــدس الله تعالى سره والدته الكريمة رضى الله عنها اسمها أم الخير ، أمة الجبار فاطمة بنت السيد عبد الله الصومعى الزاهد ابن الإمام أبــى جمال الدين السيد محمد ، ابن الإمام السيد محمود ابـــن الإمــام السيد أبى العطاء عبد الله ، ابن الإمام الســيد كمال الدين عيسى ،

ابن الإمام السيد أبى علاء الدين محمد الجواد ﷺ ، ابن الإمام الهمام على الرضى ﷺ ، ابن الإمام الهمام موسى الكاظم ﷺ ، ابن الإمام الهمام جعفر الصادق ﷺ ، ابن الإمام الهمام محمد الباقر ﷺ ، ابن الإمام الهمام زين العابدين ﷺ ، ابن الإمام الهمام سيد شباب أهل الجنة وقرة أعين أهل السنة سيد الشهداء أبى عبد الله الحسين ﷺ وعنا به آمين .

وأما اتصال النسب العالى بسيدنا أمير المؤمنين أبى بكر الصديق ﷺ .

فهو أن حضرة والدة والد حضرة الغوث المشار إليه قدس سره اسمها أم سلمة رضى الله عنها (كريمة) الإمام محمد ﷺ ابن الإمام طلحة ﷺ ، ابن الإمام عبد الله ﷺ ، ابن الإمام عبد الرحمن ﷺ ابن حضرة الإمام أمير المؤمنين سيدنا أبى بكر الصديق ﷺ وأرضاه ورضى عنا به آمين .

وأما اتصال النسب العالى بحضرة سيدنا ذى النورين أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ .

(فهو) أن سيدنا عبد الله المحض الجد التاسع لحضرة الغوث المشار إليه لقب (بالمحض) لأن لفظ محض يطلق على الخالص من كل شئ (وسيدنا) عبد الله المشار إليه نسبه الشريف خالص من الموالى من جهة الأم والأب فلقب به لأن أباه سيدنا الحسن المثنى ابن سيدنا الحسن السبط ﷺ ابن الإمام سيدنا على ابن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنهم أجمعين (وأمه) فاطمة رضى الله عنها ، بعد وفاة أبيه ، تزوجها السيد عبد الله ابن المظفر ﷺ ،

ابـــن عمـــر رضي الله عنه وابـــن أمـــير المؤمنـــين سيـــدنــــــا عثمـــــان ابـــن عفـــان رضي الله عنه .

وأما اتصال النسب العالى بسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

فاعلـــم أن عبد الله بن المظفر المتقدم ذكره والدتــــــه الكريمـــة اسمها (حفصة) رضى الله عنهـــا (كريمة) سيدنا عبد الله رضي الله عنه ، ابن سيدنا عمر رضي الله عنه ، فعل هذا يكون هذا النسب الشريف له اتصال بسيدنا الصديق وبسيدنا الفاروق وبسيدنا ذى النورين ، وبســـاداتنا الحسنين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

وأما بيان سلسلة طريقته الشريفة المتصلة إلى النبى ﷺ فهو أن حضرة المشار إليه تلقن الذكر الشريف ، وبعد تخلف ولبس الخرقة القادرية العلية من شيخـــه ومرشـــده ، العارف بالله تعالى الشـــيخ أبى سعيد المبارك ابن على المخزومى رضي الله عنه .

وبعد أن تولـــى حضرة الغوث درجـــة القطبية حضرة الشـــيخ أبى سعيد أيضاً تخلف وليس من حضرة الغوث المشار إليه قدست أسرارهما (وشيخهما فى الخرقة) شيخ الإسلام العارف بالله تعالى الشيخ أبو الحسن على بن يوسف القرشى الهكارى رضي الله عنه (وهو لبس الخرقة من شيخه) العارف بالله الشيخ أبى الفرج الطرسوسى رضي الله عنه (وهو لبس الخرقة من شيخه) العارف بالله الشيخ أبى بكر دلـــف ابن جحدر الشبلى رضي الله عنه (وهو لبس الخرقة من شيخه) العارف بالله الشيخ أبى القاسم الجنيدى البغدادى رضي الله عنه (وهو لبس الخرقـــة مـــن شيخه) العارف بالله الشيخ سرى الدين السقطى رضي الله عنه (وهو لـــبس الخرقة من شيخه) العارف بالله الشـــيخ أبـــى محفـــوظ معـــروف الكرخى رضي الله عنه (وهو لبس الخرقة من شيخه) العارف بالله الشـــيخ

داود الطائى رضي الله عنه (وهو لبس الخرقة من شيخه) العارف بالله الشيخ حبيب العجمى رضي الله عنه (وهو لبس الخرقة من شيخه) العارف بالله الشيخ حسن البصرى رضي الله عنه عن حضرة شيخه ومرشده سيدنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن حضرة سيد المرسلين ورسول رب العالمين سيدنا ونبينا محمد المصطفى ﷺ وشرف وكرم ومجد وعظم .

(وأما بيان أولاده رضي الله عنه) فهم الشيخ عبد الوهاب والشيخ عبد الرزاق والشيخ عبد العزيز والشيخ عبد الجبار والشيخ عبد الغفور والشيخ عبد الغنى والشيخ صالح والشيخ محمد والشيخ موسى والشيخ عيسى والشيخ إبراهيم والشيخ يحيى وهو أصغرهم وكريمته أمة الجبار العلوية فاطمة قدست أسرارهم أجمعين .

*****

هذه عقيدة الباز الأشهب
قدس سره
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى كيف الكيف وتنزه عن الكيفية ، وأين الأين ، وتعزز عن الأينية ، ووجد فى كل شئ وتقدس عن الظرفية ، وحضر عند كل شئ وتعالى عن العندية ، فهو أول كل شئ وليس له آخرية .

وإن قلت أين فقد طالبته بالأينية ، وإن قلت كيف فقد طالبته بالكيفية ، وإن قلت متى فقد زاحمته بالوقتية ، وإن قلت ليس فقد عطلته عن الكونية ، وإن قلت لو فقد قابلته بالنقصية وإن قلت لم فقد عارضته فى الملكوتية .

سبحانه وتعالى لا يسبق بقبلية ولا يلحق ببعدية ، ولا يقاس بمثلية ولا يقرن بشكلية ولا يعاب بزوجية ولا يعرف بجسمية .

سبحانه وتعالى لو كان شبحاً لكان معروف الكمية ، ولو كان جسماً لكان متألف البنية ، بل هو واحد رداً على البنوية ، صمد رداً على الوثنية ، لا مثل له طعناً على الحشوية ، لا كقوله رداً على من ألحد بالوصفية ، لا يتحرك متحرك فى خير أو شر أو سر أو جهر فى بر أو بحر إلا بإرادته رداً على القدرية ، لا تضاهى قدرته ولا تتناهى حكمته تكذيباً للهذلية ، حقوقه الواجبة وحجته البالغة ، ولاحق لأحد عليه إذا طالبه نقضاً لقاعدة النظامية ، عادل لا يظلم فى أحكامه ،

صادق لا يخلف فى إعلامه متكلم بكلام قديم أزلى لا خالق لكلامه .

أنزل القرآن فأعجز الفصحاء فى نظامه إرغاماً لحجج المرادية ، يستر العيوب ربنا ويغفر الذنوب لمن يتوب ، فإن امرؤ إلى ذنبه عاد فالماضى لا يعاد محضاً للبشر ، تنزه عن الزيف وتقدس عن الحيف .

وتؤمن أنه ألف بين قلوب المؤمنين ، وأنه أضل الكافرين رداً على الهشامية .

ونصدق أن فساق هذه الأمة خير من اليهود والنصارى والمجوس رداً على الجعفرية .

ونقر أنه يرى نفسه ويرى غيره ، وأنه سميع بكل نداء ، بصير بكل خفاء ، رداً على الكعبية .

خلق خلقه فى أحسن فطرة ، وأعادهم بالغناء فى ظلمة الحفرة ، وسيعيدهم كما بدأهم أول مرة رداً على الدهرية ، فإذا جمعهم ليوم حسابه يتجلى لأحبابه فيشاهدونه بالبصر يرى كالقمر ، لا يحجب إلا من أنكر الرؤيا من المعتزلة ، كيف يحجب عن أحبابه أو يوقفهم دون حجابه وقد تقدمت مواعيده القديمة الأزلية : ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة أرجعى إلى ربك راضية مرضية** ﴾ .

أترى ترضى من الجنان بحورية ؟ أم تقنع من البستان بالحلل السندسية ؟ كيف يفرح المجنون بدون ليلى العامرية ؟ كيف يرتاح المحبون بغير النفحات العنبرية ؟ أجساد أُذيبت فى تحقيق العبودية كيف لا تتنعم بالمقاعد العندية ؟ أبصار سهرت فى الليالى الديجورية ؟ كيف لا تتلذذ بالمشاهدة الأنسية ؟ وألباب عذبت

باللبانات الحييه ، كيف لا تشرب مـن المدامـة الربيـة ؟ وأرواح حبست فى الأشباح الحسية ، كيف لا تسرح فى الرياض القدسـية وترتـع فى مراتعها العلية ، وتشرب من مواردها الروية ، وتنهى ما بها من فرط شوق ووجد شرح الحال عن تلك الشـكية ويبـرز حالكم العشاق جهراً ويفصل عن تلك القضية .

إذا خوطبت عند التلاق لمولاها ابتداها بالتحية ، فيأمرهـا إلـى جنات عدن فتأبى أنفسا منها أبية ، وتقسم فيه أن لا نظرت سـواه ولا عقدت لسواه نية ، ولا رضيت من الأكوان شـيئاً ولا كانـت مطالبها دنية ، فما هجرت لذيـذ العيش إلا لتحظى منـه بالصـلة السنية ، ويسقيها مدير الراح كأساً صفاه من صفو صفواته هنية .

إذا أدبرت على الندماء جهراً حفت بالبواكر والعشية ، تزيـدهم ارتياحاً واشتياقاً إلى أنوار طلعته البهية .

وحقك إن عيناً لن تريها جمالك فإنها عين شقية ، قتلت بحسـنك العشاق جمعاً بحق هواك رفقـاً بالرعية ، قلوب تذوب إليك شـوقاً ولم يبق الهوى منها بقية ، فإن أقضى وما قضيت قصدى فإنى من هواك على وصية ، ولست بآيس عن التلافى يا إلهى بـأن تمحـو عواطفك الخطية .

كيف يكون الرد يا إخوانى وفـى الأسـحار أوقـات ربانيـة ، وإشارات سماوية ، ونفحات ملكية ؟ والدليل علـى صـدق هـذه القضية : غناء الأطيار فى الأشجار بالألحان الداودية ، وتصـفيق الأنهـار المنكسرة فى الرياض الروضـية ، ورقـص الأغصـان بالحلل السندسية ، من الجنـة كـل ذلـك إذعانـاً واعترافـاً لـه بالوحدانية .

ألا يا أهـل المحبة إن الحق يتجلى فى وقـت السحر ، وينادى هـل من تائب فأتوب عليه توبة مرضية ؟ هل من مستغفر فـأغفر لـه الخطايا بالكلية ؟ هل مـن مستعط فأجز له النعم والعطية ؟

ألا وإن الأرواح إذا صفت كانت ببهجته مشرقة مضية وتساوت فى الأحوال وهان عليها كل رزية .

لا جرم أن رائحة دموعهم فى الآفاق عطرية ، وبصبرهم علـى بعض الهجر استحقوا الوصل من المراتب العلية ، وصحة أحاديثهم فى طبقات المحبين مسندة مروية ، وراحوا من غير سؤال حاجاتهم مقضية ، هدية الحب قد أصبحت واضحة جلية ، فيالها من قـواف بهية ، وعقيدة سنية ، على أصـول مـذاهب الحنفيـة والشـافعية والمالكية والحنبلية عصمنى الله تعالى وإياكم مـن الـذين فرقـوا فمرقوا كما يمرق السهم من الرمية ، وجعلنى وإياكم من الذين لهم غرف من فوقها غرف مبنية .

وصلى الله على سيدنا محمد أشرف البرية ، وعلى آله وأصحابه وخصهم بأشرف التحية ، وسلم تسليماً كثيراً دائماً ، متجدداً مترادفاً فى كل بكرة وعشية والحمد لله رب العالمين .

* * * * *

وهذه القصيدة العينية
من نظم القطب الغوث الربانى
سيدى عبد القادر الجيلانى

فؤاد به شمس المحبة طالع ... وليس لنجم العذل فيه مواقع
صحا الناس من سكر الغرام وما صحا ... وأفرق كل وهو فى الحان جامع
حــميا هواه غير قهوة غيره ... مدام دواما تقتنيها الأضالع
هوى وصبابات ونار محبة ... وتربة صبر قد سقتها المدامع
أولع قلبى من زرود بمائه ... ويا ولهى كم مات ثمة والع
ولى مطمع بين الأجارع عهده ... قديم وكم خابت هناك المطامع
أيا زمن الرند الذى بين لعلع ... تقضى لنا هل أنت يا عصر راجع
لقد كان لى فى ظل جاهك مرتع ... هنى ولى بالرقمتين مراتع
أجر ذيول اللهو فى ساحة اللقا ... وأجنى ثمار القرب وهى أيانع
وأشرب كأس الوصل راحا براحة ... تصفق بالراحات منها الأصابع
تصرم ذاك العمر حتى كأننى ... أعيش بلا عمر وللعيش مانع
مذا غبر خضر العيش وابيض لمنى ... تسود صبحى فالدموع فواقع
وشرب من الغزلان فبهن فتية ... لنا هن فى سقط الغرير رواتع
عفرن بدورا مذ قلمنا عقاربا ... من الشعر خلنا أنهن براقع
رعى الله تلك السراب لى ورعى الحمى ... ولا صنعت سربا وأى صنائع
صليت بنار أضر منها ثلاثة ... غرام وشوق والديار الشواسع
يخيل لى أن العذيب وماءه ... منام ومن فرط الغرام الأرجارع
فلا نار إلا ما فؤادى محله ... وما السحر إلا ما الجفون تدافع
ولا وجد إلا ما أقاسيه فى الهوى ... ولا موت إلا ما إليه أسارع

فلو قيس ما قاسيته بجهنم   من الوجد كانت بعض ما أنا جارع
جفوني بها نوح فطوفانها الدما   ونوحى رعـد والزفر اللوامع
وجسمى به أيوب قد حل للبلا   وإن مسنى ضر فما أنا جازع
وما نار إبراهيم إلا كجمرة   من الجمرات اللت حوتها الأضالع
فسرى فى بحر الصبابة يونس   تلقمه حوت الهوى وهو خاشع
وكم فى فؤادى من شعيب كآبة   تشعب إذ شطت مزارا مرائع
حكى زكريا وهن عظمى من الضنا   أيحيى اصطبارى وهو فى الموت واقع
أبا يوسف الدنيا لفقدك فى الحشا   من الحزن يعقوب فهل أنت راجع
أتينا تجار الذل نحو عزيزكم   وأرواحنا المزجاة تلك البضائع
فإن تك عطفا أنت أهل لأهله   أما إن يكن عون العذيب موانع
تحكم بما تهواه فى فإننى   فقير لسلطان المحبة طائع
فكل الذى يقضيه فى رضاكم   مرامى وفوق القصد ما أنت صانع
حببتك لا لى بل لأنك أهله   ولا لى فى شئ سواك مطامع
فصل إن ترد أودع وعد عن اللقا   وأوعد وعد وعداً فما أنا قانع
تمكن منى الحب فامتحق الحشى   وأتلفنى الوجد الشديد المنازع
وأشغلنى شغلى بها عن سوائها   وأذهلنى عن الهوى والجوامع
وقد فتكت روحى بقارعة الهوى   وأفنيت عن نحوى بما أنا فارع
تلذ لى الآلام إذ أنت مسقمى   وإن تمتحنى فهى عندى صنائع
فقام الهوى عندى مقامى فكنته   وغيبت عن كونى فعشقى جامع
غرامى غرام لا يقاس بغيره   ودون هيامى للمحبين مانع
فؤادى والتبريح للروح لازم   وسقمى والآلام للجسم تابع
وبعدى وأشجانى وشوقى ولوعتى   لجوهر ذاتى فى الغرام طبائع
وشوقى نار والهوى فهو الهوى   وتربى والما وذلتى والمدامع

يلوم الورى نفسى لفرط جنونها وليس بأذنى للملامة سامع
ومذ أودعت أحشائى حبك إننى لسهم قسى النائبات مواقع
ومالى إن حل البلاء التفاتة ومالى إن جاء النعيم مراتع
ولا أن من يسلو ببعض غرائب عن البعض بل بالكل ما أنا قانع
وشوقى ما شوقى وقيت فإنه جحيم له بين الضلوع فراقع
وبى كمد لو حملته جبالها لدكت برضواها وهدت صوامع
يخيل لى أن السماء على الثرى طباقاً وأنى بين ذلك واقع
ولى كبد حراء من جزع بها عليك ولم تبرد عليك مصالع
ونفسى نفس أى نفس أبية ترى الموت نصب العين وهى تسارع
فهمى وفهمى ذا عليك وفيك ذا وجدى ووجدى زائد ومتابع
وعزمى زعمى أنه فوق كلما تراءى ودمعى إنما هو نافع
تسامر عينى السها لسهادها وتسأل بل ما سال إلا المدامع
ويطرق منك الطيف جفن بغيتى وكم زاره طيف وما هو هاجع
يخبرنى عنك الصبا وهو جاهل فتلتذ من أخباركم والمسامع
إذ زمزمت ورق على غصن بانة وجاوب قمرى على الأيك ساجع
فأذنى لم تسمع سوى نغمة الهوى ومنكم فإنى لا من الطير سامع
وعن أى أمن كان إن هب ضائع لكم فيه من عطر الغرام بضائع
وإن زجر الرعد الحجازى بالصفا وأبرق من شعبى جياد لوامع
يصور لى الوهم المخيل أن ذا ثناك وهذا من ثناياك ساطع
فأسمع عنكم كل أخرس ناطقاً وأشهدكم فى كل شئ مواقع
إذا شاهدت عينى جمال ملاحة فــما نظرى إلا بعيــنك واقع
وما هز من غصن فتى تحت طلعه من البدر أبدت ما خفتها الأضالع
ولا سلسلت أعناقها بغرامها تصافيق جهد خطهن وقائع

ولا نقطت خال الملاحة بهجة ... على وجنة إلا وحرفك طالع
فأنت الذى لى فيه يظهر حسنه ... به لا بنفسى ماله من ينازع
وإن حس جلدى من كثيف خشونة ... فلى فيه من ألطاف حسنك دارع
تخذتك وجها والأنام بطانة ... فأنجمهم غابت وشمسك طالع
فدينى وإسلامى وتقواى إننى ... بحبك فإن لائتمارك طائع
إذا قيل قل لا قلت غير جمالها ... وإن قيل إلا قلت حسنك شائع
أصلى إذا صلى الأنام وإنما ... صلاتى بأنى لاعتزازك خاضع
أكبر فى التحريم ذاتك عن سوى ... وباسمك تسبيحى إذا أنا خاشع
أقوم أصلى أى أقوم على الوفا ... بأنك فرد واحد الحسن جامع
وقرأ من قرآن حسنك آية ... فذلك قرآنى إذا أنا راكع
فأسجد كى أفنى وأفنى عن الفنا ... وأسجد أخرى والمتيم والع
وقلبى مذا أبقاه حسنك عنده ... تحياته منكم إليكم تسارع
صيامى هو الإمساك عن رؤية السوى ... وفطرى أنى نحو وجهك راكع
وبذلى نفسى فى هواك صبابة ... زكاة جمالى منك فى القلب ساطع
أرى مرج قلبى مع وجودى جنابة ... فماء طهورى أنت والغير مائع
أيا كعبة الآمال وجهك حجتى ... وعمرة نسكى إننى فيك والع
وتجريد نفسى من مخيط ثيابها ... بوصل وإحرام عن الغير قاطع
ويلتذ منى أن أدلك مهجتى ... لما منك فى دار من الحسن مانع
كأن صفاة منك تدعو إلى العلا ... فلبت بقلبى فاستبانت شواسع
فتركى لطيبى والنكاح فإن ذا ... صفاتى وذا ذاتى فهن موانع
وإعفاء حلق الرأس ترك رئاستى ... وشرط الهوى أن المتيم خاضع
إذا ترك الحجاج تقليم ظفرهم ... تركت من الأفعال ما أنا صانع
وكنت كآلات وأنت الذى بها ... تصرف بالمقدور ما هو واقع

وما أن جبرى للعقيدة أننى محب فنى فيمن حوته الأضالع
فها أنا فى تطواف كعبة حسنها أدور ومعنى الدور أنى راجع
ومذ علمت نفسى طوافك سبعة فأعداد تطوافى جمال سوابع
أقبلى خال الحسن والحجر الذى لنا من قديم العهد فيه ودائع
ومعناه أن النفس فيها لطيفة بها تقبل الأوصاف والذات شائع
وأستسلم الركن اليمانى إنه به نفس الرحمن والنفس سالع
وأختم تطواف الغرام بركعة من المحو عما أحدثته الطبائع
ترى هل لموسى القلب فى زمزم اللقا مراضع لا حرمت تلك المراضع
فيذهب وصفى فى صفات صفاتكم ليسعى لمرو الذات وهى تسارع
وليس الصفاء إلا الصفاء ومروة بأنى على تحقيق حقى صادع
وما القصر إلا عن سواكم حقيقة وما الحلق إلا ترك ما هو قاطع
ولا عرفات الوصل إلا جنابكم فطوبى لمن فى حضرة القرب يانع
على علمى معناك ضدان جمعا ويا لهفى ضدان كيف التجامع
بمزدلفات فى طريق غرامكم عوائق من دون اللقا وقواطع
فإن حصل الإشعار فى زمزم اللقا وساعد جذب العزم فالفوز واقع
على مشعر التحقيق عظمت فى الهوى تبيعا بحكم أصلته الشرائع
وكم من منى لى فى منى حضراتكم ويا حسرتى إن المحسر شاسع
رميت جمار النفس فى الروح فانثنت جهنمها ماء وصاحت ضفادع
وأبدل رضوان بمالك وأنبتت بها شجر الجرجير والغصن يانع
فقاضت على ذاتى ينابيع وصفها وناهيك صرف الحق تلك الينابع
وطفت طوفا اللإفاضة بالحمى وقمت مقاماً للخليل أتابع
فمكنت من ملك الغرام وها أنا مليك وسيفى فى الصبابة قاطع
وحققت علماً واقتداراً جميع ما تضمنه ملكى ومالى منازع

ولما قضينا النسك من حجة الهوى ... وتمت لنا من حى ليلى بدائع
حثثنا مطايا العزم نحو محمد ... وطفنا وداعاً والدموع هوامع
وجبنا بتهنئة النفوس مفاوزا ... سباسب فيها الرجال مصارع
حمى درست فى العالمين طريقه ... فعزوكم قد خاب فى العز طامع
محل بحال القرب حالت رسومه ... وأوج منيع دونه البرق لامع
ينكس رأس الريح عند ارتفاعه ... فكم زال عنه السحب والغيث هامع
حوى تحته بهرام فى الأوج ساجداً ... وكيوان من فوق السموات راكع
فكم رامح مذرامه صار أعزلا ... وفى قلبه من عقرب الفقر لاذع
سريت به والليل أدجى من العمى ... على باذل أفديه ما هو طائع
يجوب الفلا جوب الصواعق فى الدجا ... ويرحل عن مرعى الكلا وهو جائع
وإن مر بعد العسر بالماء إنه ... على ظمأ من ذاك باليسر قانع
هى النفس نعمت مركباً ومطية ... فليس لها دون المرام موانع
فيا سعد إن رمت السعادة فاغتنم ... فقد جاء فى نظم البديع بدائع
مفاتيح أقفال القلوب أتتك فى ... خزائن أقوالى فهل أنت سامع
أكشفت عن أسرار الشريعة فانحها ... فما وضعت إلا لتلك شرائع
وها أنا ذا أخفى وأظهر تارة ... رمز الهوى ما السر عندى ذائع
وإياك أعنى وأسمعى جارتى وما ... يصرح إلا جاهل أو مخادع
ولكننى آتيك بالبدر أبلجا ... وأخفيه أخرى كى تصان الودائع
خذا الأمر بالإيمان من فوق أوجه ... ونازع إذا نفسا أتتك تنازع
فللمرء فى التنزيل أو فى أدلة ... ولكن قلبى فى الحقيقة والع
وفى السنة الزهراء كل عبارة ... بها من إشارات الغرام وقائع
فإن كنت فيمن ماله يد ماجد ... سوى أن بتصريح التشكل قانع
سأنشى روايات إلى الحق أسندت ... وأضرب أمثالاً بما أنا واضع

وأوضح بالمعقول سر حقيقة لمن هو ذو قلب إلى الحق راجع
تجلى حبيبى مرائى جماله ففى كل مرأى للحبيب طلائع
فلما تبدى حسنه متنوعا تسمى بأسماء فهن مطالع
وأبرز منه فيه آثار وصفه فذالكم آثار من هو صانع
فأوصافه والاسم والأثر الذى هــو الكون عين الذات والله جامع
فما ثم من شئ سوى الله فى الورى وما ثم مسموع وما ثم سامع
هو العرش والكرسى والمنظر العلى هــو السدرة اللاتى إليها المراجع
هو الأصل حقاً والرسوم مع الهوى هــو الفلك الدوار وهو الطبائع
هو النور والظلمات والماء والهوى هو العنصر النارى وهو الطبائع
هــو الشمس والبدر المنير مع السها هو الأفق وهو النجم وهو المواقع
هــو المركز الحكمى والأرض والسما هو المظلم العتام وهو اللوامع
هــو الدار وهو الحى والأثل والغضا هو الناس والسكان وهو المرابع
هــو الحكم والتأثير والأمر والقضا هو العز والسلطان والمتواضع
هو اللفظ والمعنى وصورة كلما يجول من المعقول أو هو واقع
هو الجنس وهو النوع والفصل إنه هــو الواجب الذاتى والمتمانع
هو العرض الطارى نعم وهو جوهر هــو المعدن الصلدى وهو الموالع
هــو الحيوان الحى وهو حياته هو الوحش والإنسى وهو السواجع
هــو القيس بل ليلى وهو بثينة أجل نشرها والخيف وهو الأرجاع
هو العقل وهو النفس والقلب والحشا هو الجسم وهو الروح والمتدافع
هو الموجد الأشيا وعين وجودها وعين ذوات الكل وهو الموانع
بدت فى نجوم الخلق أنوار شمسه فلم يبق حكم النجم والشمس طالع
حقــائق ذات فى مراتب حقه تسمى باسم الخلق والخلق واسع
وفى فيه روحى نفحت كناية هل للروح إلا عينه يا منازع

ونزهه عن حكم الحلول فما له   سوى وإلى توحيده الأمر راجع
فيا أحدى الذات فى عين كثرة   ويا موجد الأشياء ذاتك شائع
تجليت فى الأشياء حين خلقتها   فها هى ميطت عنك فيها البراقع
قطعت الورى من ذات نفسك قطعة   ولم يك موصولاً ولا فصل قاطع
ولكنما أحكام رتبتك اقتضت   ألوهية للضد فيك التجامع
فأنت الورى حقاً وأنت إمامنا   وأنك ما يعلو وما هو واضع
وما الحلق فى التمثال إلا كثلجة   وأنت بها الماء الذى هو نابع
فما الثلج فى تحقيقنا غير مائه   وغير أن فى حكم دعته الشرائع
ولكن بذوب الثلج يرفع حكمه   ويوضع حكم الماء والأمر واقع
تجمعت الأضداد فى واحد البها   وفيه تلاشت فهو عنهن ساطع
فكل بهاء فى ملاحة صورة   على كل قد شابه الغصن يانع
وكل أسوداد فى تصافيق طرة   وكل أحمرار فى الطلائع صانع
وكل كحيل الطرف يقتل صبه   بماض كسيف الهند حال مضارع
وكل اسمرار فى القوائم كالقنا   عليه من الشعر الوسيم شرائع
وكل مليح بالملاحة قد زها   وكل جميل بالمحاسن بازع
وكل لطيف جل أو دق حسنه   وكل جليل وهو باللطف صادع
محاسن من أنشاه ذلك كله   فوحد ولا تشرك به فهو واسع
وإياك لا تلفظ بغيرية إليها   فما ثم غير وهو بالحسن بادع
وكل قبيح إن نسبت لحسنه   أتتك معانى الحسن فيه تسارع
ولا تحسبن الحسن ينسب وحده   إليه إليها والقبح بالذات راجع
يكمل نقصان القبيح جماله   وما ثم نقصان ولا ثم بانع
ويرفع مقدار الوضيع جلاله   إذا لاح فيه فهو للوضع رافع
فلا تحتجب عنه لشئ بصورة   فخلف حجاب العين للنور لامع

وأطلق عنان الحق فى كل ما ترى ... فتلك تجليات من هو صانع
لقد خلق الأرضين بالحق ورسما ... كذا جاء فى القرآن إن أنت سامع
وما الحق إلا الله لا شئ غيره ... فثم شذاه فهو فى الخلق ضائع
وشاهده حقا فيك منك فإنه ... هويتك اللاتى بها أنت دالع
ففى أينما حقاً تولوا وجوهكم ... فما ثم إلا الله هل من يطالع
فبع منك نفسا بالإله وكنهه ... تكون كما إن لم تكن وهو صادع
ودع عنك أوصافاً بها كنت عارفاً ... لنفسك فيها للإله ودائع
وشاهد بوصف الحق نفسك أنت هو ... ولا تلتبس للحق ما أنت خاضع
وكن باليقين الحق للخلق جاحداً ... وجمعك خله إن فرقك قاطع
ولا تحتقر بالإسم فالإسم دارس ... ولا تختصر بالعين فالعين تابع
وإياك حزماً لا يهولك أمرها ... فما نالها إلا الشجاع المقارع
حنانيك واحذر من تأدب جاهل ... فيارب آداب لقوم قواطع
وكن ناظراً فى القلب صورة حسنه ... على هيئة للنفس يظهر طابع
فقد صح فى متن الحديث " تخلقوا ... بـــأخلاقه " ما للحقيقة مانع
وها هو سمع بل لسان أجل بدا ... لنا هكذا بالنقل أخبر شارع
فعم قوانا والجوارح كونه ... لسانا وسمعا ثم رجلا تسارع
وكنا شواهد للجوارح والقوى ... هو الكل منا ما لقولى دافع
ويكفيك ما قد جاء فى الخلق إنه ... على صورة الرحمن آدم واقع
ولو لم يكن فى وجه آدم عينه ... لما سجد الأملاك وهى خواضع
ولو شاهدت عين لإبليس وجهه ... على آدم لم يعص وهو مطاوع
ولكن جرى المقدور فهو على عمى ... عن العين إذ حالت هناك موانع
ولا تك من إبليس فى شبه سيره ... ودع قيده العقلى فالعقل رادع
وخض فى بحار الإتحاد منزها ... عن المزج بالأغيار إن أنت خاشع

وإياك والتنزيه فهو مقيد　　وإياك والتشبيه فهو مخادع
وشبهه فى تنزيه سبحات وجه　　ونزهه فى تشبيه ما هو ضارع
وقل هو ذابل غيره وهو غير ما　　عرفت وعين العلم فالحق شائع
ولاتك محجوباً برؤية حسه　　عن الذات أنت الذات أنت المجامع
فعينك شاهدها مجداً لأصلها　　فإن عليها للجمال لوامع
أنيتك التى هى القصد والمنى　　بها الأمر مرموز وحسنك بارع
ونفسك تحوى بالحقيقة كلما　　أشرت بجد القول ما أنا خادع
تهنى بها وأعرف حقيقتها وما　　كعرفانها شئ لذاتك نافع
فحقق وكن حقا فأنت حقيقة　　لحقك والمخلوق بالذات جامع
ووجده فى الأشياء فهو متره　　وخلف حجاب الكون للنور ساطع
ولا تطلبن فيها الدليل فإنه　　وراء كتاب العقل تلك الوقائع
ولكن بإيمان وحسن تتبع　　إذا رمت جاءتك الأمور توابع
وإن قيدتك النفس فاطلق عنانها　　وسر معها حتى تهون الوقائع
وبرهن لها التحقيق عقلاً مقيدا　　بنقل به جاءت إليك شرائع
فثم أصول فى الطريق لأهلها　　رهن إلى سبل النجاة ذرائع
تمسك بها تنجو وزن كل وارد　　بقسطاسها عدلاً فثم قواطع
ودع ما تراه مال عن خط عدلها　　إلى أن تناجيك الشموس الطوالع
فذاك سبيلى رده إن ترد العلا　　ولا تعد عنه تعتريك قواطع
. . . .　　. . . . . (١)
وإنى ومن فى الحب أهدى بهديه　　بأنك لا تهدى من أحببت قانع
فدع عنك دعوى القول فى نكت الهوى　　فراحلة الألفاظ فى السير طالع

(١) بياض بالأصل .

وسر فى الجوى بالروح واصغ إلى الهوى لتسمع منه سر ما أنت والع
ومن دون هذا الاستماع مهالك وما كل أذن فيه تلك المسامع
فـشمر ولذ بالأولياء لأنهم لهم من كتاب الله تلك الوقائع
هم الذخر للملهوف والكنز للرجا ومنهم ينال الصب ما هو طامع
بهم يهتدى للعين من ضل فى الهوى بهم تجذب العشاق والربع شاسع
هم القصد والمطلوب والسؤال والمنى وأنسهم للصب فى الحب شائع
هم الناس فالزم إن عرفت جنابهم ففيهم لضير العالمين منافع
وإن جهلوا فانظر بحسن عقيدة إلى كل من تلقاه بالفقر ضارع
وحافظ مواقيت الإرادة قائماً بشرع الهوى إن أنت فى الحب شارع
وداوم على شرطين ذكر أحبة وتسليك نفس للخلاف تسارع
ولا تهملن ذكر الأحبة لمحة فميل الفتى عما يحاول رادع
ولا ساعد المقدور أوساقك القضا إلى شيخ حق فى الحقيقة بارع
فقم فى رضاه واتبع لمراده ودع كلما من قبل كنت تسارع
وكن عنده كالميت عند مغسل يقلبه ما شاء وهو مطاوع
ولا تعترض فيما جهلت من أمره عليه فإن الإعترض تنازع
وسلم له فيما تراه ولو يكن على غير مشروع فثم مخادع
ففى قصة الخضر الكريم كفاية بقتل غلام والكليم يدافع
فلما أضاء الصبح عن ليل سره وسل حساماً للغياهب قاطع
أقام له العذر الكليم وإنه كذلك علم القوم فيه بدائع
وواطب شهود الحق فيك فإنه هو الحق والأنوار فيك سواطع
ورق مقام القلب عن نجم ربه إلى قمر الرحمن إذ هو طالع
إلى شمس تحقيق الألوهية رافعاً إلى ذاته فى العذر إن أنت رافع
فلله خلف الإسم والوصف مظهر وعنه عيون العالمين هواجع

وليس ترى الرحمن إلا بعينه ... وذلك حكم فى الحقيقة واقع
وإياك لا تستبعد الأمر إنه ... قريب على من فيه للحق تابع
وها أنا ذا أنبيك عن سبل الهوى ... وأفصح عما قد حوته المشارع
أقص حديثاً تم لى عن بدايتى ... لـــنحو انتهائى عله لك نافع
برزت من النور الإلهى لمعة ... لحكمة ترتيب اقتضتها البدائع
إلى سقف عرش الله فى أفق العلا ... ومنه إلى الكونين وهى تسارع
إلى القلم الأعلى ولبى منه مدةً ... إلى اللوح لوح الأمر والخلق واسع
إلى المنتهى السامى وقبل مكرماً ... نزلت الهيولى وهو للخلق جامع
هناك تلقتنى العناصر حكمة ... ومنها أحلتنى حماها الطبائع
وانزلنى المقدور فى أوج أطلسٍ ... هــو الفلك العالى الذرى وهو تاسع
ومنه هبوطى للكواكب نازلاً ... على فلك كيوان ثمة سابع
فلما نزلت المشترى وهو سادس ... سماء به للكون فى السعد تابع
أتيت سما بهرام من بعدها بطا ... على فلك الشمس والشمس رابع
وبالكرة الزهراء أعنى سماءها ... حثثت مطايا السير والدار شاسع
على كاتب الأفلاك وهو عطارد ... وفدت فكانت لى هناك مرابع
فبالقمر الباهى نزلت وشرعت ... على الفلك النارى الأشد شرائع
ومنه هواء الأمر فى فلك الهوى ... ركائب عزم مالهن موانع
وبالكرة المائية العين إذ سرت ... إضافة ركب العزم فيها البلاقع
وهذا نزول الجسم من عند ربه ... وللروح تنزيل لخلق متابع
وذلك أن الروح فى المركب الذى ... لها هى روح الحق فافهم أسامع
فليس لها فيه هبوط منزل ... وليس لها فيه صعود مرافع
وذلك للأرواح أخلق حقيقة ... وذلك تنزيل لها وقواطع
ففى المثل المفروض وجه تنوعت ... ســـرائره حتى بـــدا متتابع

فيبرز فى حكم المرات إلى الورى على الجرم والمقدار إذ ذاك طابع

فتنويعها ذاك التجلى هو الذى تسميه روحاً وهو بالنفخ واقع

وإلا فلا اسم غير .... (١)

.........(٢) وليس له إلا الصفات مواضع

تنزه ربى عن حلول بقدسه وحاشاها بالإتحاد بواقع

ومهما تجد الروح جسما فإنها لتصوير ذاك الجسم فى الصور تابع

فيتبعها فى صورها وارتفاعها ويتبعه إن جر يوماً طبائع

فمن سبقت لله فيه عناية فغير مكوث فى التراب يسارع

فإن روفقت بالتزكيات رقت به إلى المركز العالى الذى هو رافع

وإن ضعفت واستولت النفس والهوى فكن تبعاً للجسم إذ قام تابع

فتشقى به فى سجن طبع ولو رقت به كان مسعودا وفى العز راتع

وإن نزول الجسم للخلق فى الثرى سواء فما من بعد ذاك تنازع

ومن بعدته السابقات فإنه لــه بين نبت والثريا تراجع

.... (٣)

تركت لها الأسباب شغلاً بحبها ووجداً بنار قد حوتها الأضالع

وأشغلنى شغلى بها عن شواغلى وفيها فإنى للعذار مخالع

خلعت عذارى فى الهوى وزهدت فى مكانى وإمكانى وما أنا جامع

وألقيت إنسانى فألقيت مهجتى وجافيت نومى بل جفتنى المضاجع

وسلمت نفسى للصبابة راضياً بحكم الهوى تحت المذلة خاضع

وفوضت أمرى فى هواها توكلاً ليقطع فى حكمى بما هو قاطع

---

(١) بياض بالأصل .

(٢) بياض بالأصل .

(٣) بياض بالأصل .

فأنزلنى من أوج عزى ذلة ... فلى بعد رفع الإقتدار تواضع
عنيت فأغنانى عنائى بحبها ... وعندى أمان نحوها وضرائع
طرحت على أرض الهوان رئاستى ... لها نعمة طرحاً لقدرى رافع
لبست لباس الوجد فيها خلاعة ... لباس الهوى فى الحب ما أنا خالع
وقد أودعتنى تربة الذل والشقا ... وجرد راجى راحل وموادع
ولى فى هواها هتكة وتبذذ ... على أن قلبى فى هواها مضارع
جعلت اعتقادى فى هواها وسيلتى ... فيا ضعف مشفوع له الفقر شافع
وجئت إليها راغباً متولها ... ولكن بها منى إليها أسارع
سكنت الفلا مستوحشاً عن أنيسها ... ومستأنساً بالوحش هن روائع
أنوح فتشجينى حمام سواجع ... وأبكى فتحكينى غمام هوامع
ولى إن عوى ذيب على فقد إلفه ... زفير له فى الخافقين ضرائع
وإن غردت قمرية فوق أيكة ... وجاوب قمرى على الأيك ساجع
فإنى لآفاتى وتكدير لوعتى ... بتلك الفيافى والظلام أراجع
ولى بمريض الجفن سقم مبرح ... ولى فى عصى القلب دمع مطاوع
نحلت من الآلام حتى كأننى ... مقدر مفروض وما هو واقع
فلو نقط الخطاط حرفاً لهيكلى ... على سطح لوحى ما رآه مطالع
فجسمى وأسقامى محال وواجب ... ودمعى وخدى أحمر وفواقع
أسائل من لاقيت والدمع سائل ... عن القلب والسكان والقلب جازع
تجارب صبرى والكرى فتباينا ... وسالم قلبى الحرق فهو مبائع
وقد قيدت بالنجم أهداب مقلتى ... كما أطلقت عن قيـدهن المدامع
وأسقط قدرى فى الهـوى شنعة الهوى ... وعندى أن العز تلك الشنائع
فكم مر بى من كنت أرفع قدره ... كأنى له من بعد ذلك واضع

وينكف إن ألقاه بى متطيراً | ومالى إن حدثته لى سامع
فمالى فى الأحياء إن عشت صاحب | ومالى حقاً إذ أموت مشائع
ولا لى إن حدثتهم من محادث | ولا إذ دهانى الخطب فيهم مدافع
كأن لم أكن فى الحى أرفع أهله | مكاناً وقدرى فى المكانة رافع
ذللت إلى أن خلت أنى لم أزل | أذل لهم قدراً فها أنا خاضع
وأحسب أن الأرض تنكف أن ترى | ولى فى ثراها مذهب ومشاع
رعى الله إخواناً رعوا لمودتى | فهن لقلبى حين كن توابع
نعم وسقى وجد مدى الدهر مؤنسى | فكم لك يا وجدى على صنائع
فيا زفراتى اصعدى وتنفسى | فقد هبطت من ضيق جفنى المدامع
ويا كبدى فى الحب ذوبى صبابة | ويا كمدى دم إننى بك يانع
ويا جسدى هل فيك من رمق فما | أراك سوى بالوهم عندى طالع
ويا مهجتى الرسم منك قد اندرس | ويا طلل الأحشاء فجعك صادع
ويا جفنى المقروح قد فنى الدما | ويا قلبى المجروح هل أنت فازع
ويا ذاتى المعدوم هل لك بعثة | ويا صبرى المهزوم هل أنت راجع
ويا خفقان القلب زدنى كآبة | وبنار وجدى قدمنين أضالع
ويا نفسى الحراء موتى تلفها | فما لك فى ذنب المحبة شافع
ويا روحى المبعوث صبراً على البلا | ويا عقلى المسلوب هل أنت راجع
ويا ما بقى فى الوهم منى وجوده | عدمتك شيئاً وقعه متمانع
ويا مسقمى زدنى أسى وتبددا | فليس لسقمى غير صبرى نافع
ويا عاذلى كم تعذلنى وإن أكن | إلى العذل أصغى فللذكر سامع
ويا قاضيا فى الحب يقضى بعدله | تحكم بجور إننى لك طائع
جعلت وجودى ما يمن لها به | وإن وجودى مكرة وخدائع
فمن مصر أرضى قد خرجت المدين ال | على وشعيب القلب فيه صرائع

تلاقيت بنتى عادتى وطبائعى يذودان أغنامى ومائى نابع
سقيت من الماء الغنيم غنائمها ومن رعى زهر العلم هن شوابع
وجاء على استحياء ذاتى بربها بتوحيدها إحداهما وتسارع
فلما تزوجت الحقيقة صنتها وأمهرها منى حماة شرائع
صعدت معالى طور قلبى منادياً لربى حتى أن بدت لى لوامع
وخلفت أهلى وهى نفسى تركتها وجئت إلى النار التى هى ساطع
فنادانى التوحيد نعليك دعهما فها أنا ذا للروح والجسم خالع
وكلمنى التحقيق من شجر الحشا بأنى بالوادى المقدس راتع
وسرت بعقلى أى فتاى وحوته إلى مجمع البحرين والعقل تابع
هناك نسيت الحوت وهو أنيتى فسبح فى بحر الحقيقة شارع
على أثرى ارتديت حتى وجدتنى هو الأصل إذ نفس أنا وهو طالع
فلما تعارفنا ولم يبق نكرة أردت اتباعاً كى يفوز المتابع
فأخرق فى بحر الإله سفينتى ونحر غلام الشرك إذ هو خادع
وجاء بلاد الله قوية غزة وفيها لقلبى منجع ومخادع
أردنا ضيافات أبوا أن يضيفوا لمسدل فى وجه البدور طوالع
هناك جدار الشرع خضرى أقامه لئلا ترى بالعين تلك الشوارع
فإن فهمت أحشاك ما قلت مجملاً وإلا فبالتفصيل ما أنا واضع
وإنى على تنزيه ربى لقائل بأوصافه عنى فحقى صادع
أنا الحق والتحقيق جامع خلقه أنا الذات والوصف الذى هو تابع
فأحوى بذاتى ما علمت حقيقة ونورى فيها قد أضاء فلامع
وبسمع تسبيح الصوامت مسمعى وإنى لأسرار الصدور أطالع
وأعلم ما قد كان فى زمن مضى وحالاً وأدرى ما أفاد مضارع
ولو خطرت فى أسود الليل نملة على صخرة صماء إنى طالع

أعدى الثرى رملاً مثاقيل ذرة وأحصى عديد القطر وهى هوامع
وأحكم موج البحر وسط حطيمها عياراً ومقداراً وما هو واقع
وأنظر تحقيقاً بعينى محققاً قصور جنان الخلد وهى قلائع
وأتقن علماً بالإحاطة جملة لأوراق أشجار هناك أيانـــع
وكل طباق فى الجحيم عرفتها وأعرف أهليها ومن يك واضع
وأنواع تعذيب هناك علمتها وأهوالها طرا وهن فظائع
وأملاكها حقاً عرفت ولم يكن على بخاف من أنا له واضع
وكل عذاب ثم ذقت ولم أبل أأخشى وإنى للمقامين واضع
وكـــل نعـــيم إنـــى لمنعم به وهو لى ملك وما ثم رادع
وكل عليم فى البرية إنه كقطرة ماء من بحارى دافع
وكل حكيم كان أو هو كائن فمن نورى الوضاح فى الخلق لامع
وكل عزيز بالتجبر قاهر يبطش اقتدارى فى البرية قامع
وكل هدى فى العالمين فإنه هداى ومالى فى الوجود منازع
أصور مهما شئت من عدم كما أقدر مهما شئت فهو مطاوع
وأفنى إذا شئت الأنام بلمحة وأحيى بلفظى من حوته البلاقع
وأجمع ذرات الرسوم من الثرى وأنشى كما كانت وإنى بادع
وفى البحر لو نادى باسمى حوته أجبت وإنى للمناجين سامع
وفى البر لوهب الرياح على الثرى أحيط وأحصى ما حوته البلاقع
وخلف معالى قاف لو يستغيث بى مغاث فإنى ثم للضر دافع
وأقلب أعيان الجبال فلو أقل لها ذهباً كونى فهن فواقع
وأجرى إذا شئت السفائن فى الثرى وفى البحر لو أبغى المطى تسارع
وأن طباق العرش تحت قوائم ورجلى على الكرسى ثمة رافع
وبيتى بسقف العرش حاشاى ليس لى مكان ومن فيضى خلقن المواضع

وسدرة أوج المنتهى لى موطئ　　وغاية غايات الكمال مصارع
وكل معاش الخلق تجريه راحتى　　لراحتهم جودا ولست أصانع
وفى كل جزء من تراكيب هيكلى　　لو سعى والكرسى والعرش ضائع
فلا فلك إلا وتحويه قدرتى　　ولا ملك إلا لحكمى طائع
وأمحو لما قد كان فى اللوح ثابتاً　　فتثبت إذ وقعت ثم وقائع
وإنى على هذا عن الكل فارغ　　وليس به لى همة وتنازع
ووصفى حقاً فوق ما قد وصفته　　وحاشاى من حصر ولا لى قاطع
وإنى على مقدار فهمك واضع　　وإلا فلى من بعد ذاك بدائع
وثم أمور ليس يمكن كشفها　　بها قلدتنى عقدهن شرائـــع
قفوت بها آثار أحمد تابعا　　فأعجب بمتبوع وها هو تابع
بنى له فوق المكانة رتبة　　ومن عينه للناهلين منابع
عليه سلام الله منى وإنما　　سلامى على نفسى النفيسة واقع

*****

ومن النظم المنسوب إليه
رضي الله عنه ونفعنا به

على الأولياء ألقيت سرى وبرهانى فهاموا به فى سر سرى وإعلانى
فأسكرهم كأسى فهاموا بخمرتى سكارى حيارى من وجودى وعرفانى
أنا كنت قبل القبل قطباً مبجلا تطوف بى الأكوان والرب أسمانى
خرقت جميع الحجب حتى وصلته مقاماً به قد كان جدى له دانى
وقد كشف الأستا عن نور وجهه ومن خمرة التوحيد بالكأس أسقانى
نظرت إلى المحفوظ والعرش نظرة فلاحت لى الأنوار والرب أعطانى
أنا قطب أقطاب الوجود بأسرها أنا بازهم والكل يدعى بغلمانى
ولو أننى ألقيت سرى لدجلة لغارت وراح الماء فى سر إعلانى
ولو أننى ألقيت سرى إلى لظى لأخمدت النيران من عظم سلطانى
ولو أننى لقيت سرى لميت لقام بإذن الله فى الحال نادانى
سلوا عنى السرى سلوا عنى المنا سلوا عنى القاضى سلوا عنى الدانى
سلوا عنى العلا سلوا عنى الثرى وما كان تحت التحت والإنس والجان
فيا معشر الأقطاب هلموا لحضرتى وطوفوا بحاناتى واسعوا لأركانى
وغوصوا بحارى تظفروا بجواهرى وتبرى وياقوتى ودرى ومرجانى
وقفت على الإنجيل جمعاً شرحته أخى ورفيقى كان موسى بن عمران
وحليت رمزاً كان عيسى بحله به كأن يحيى الموتى والرمز سريانى
وخضت بحار العلم من قبل نشأتى وفككت فى التوراة رمزة عبرانى
فمن فى رجال الله نال مكانتى وجدى رسول الله فى الأصل ربانى

*****

ووالدتى الزهراء بنت محمد أبوها رسول الخلق عزبهم شانى
أنا الكوكب الدرى أنا شمس خلتها أنا الفرد قد ألبست فى الحب تيجانى
أنا قادرى الوقت عبد القادر واسمى محيى الدين والأصل كيلانى

انتهت

وقد زاد فى صدرها الشيخ الإمام المنزلى بيتاً للترجيع فقال :
صلاتى على المختار من خير عدنان سلامى على الجيلانى شيخى وبرهانى

*****

ومن النظم المنسوب إليـــه ﷺ ونفعنا به

دنوت من المحبوب أعلى المراتب فأوهبنى بالقرب أزكى المواهب
وتوجنى تاجاً على خلع الرضى بأثنى ملابيس فنلت مآربى
وقلدت تصريف الوجود بأسره خليفة بالكرسى أجلست تائبى
ونادمني من غير واسطة وقد بدا لى جهراً لا حجاب وحاجب
أنا خـــادم فى حضرة نبوية قريب له قرباً كقوس حواجب
فوصف جميعى لا يحاط بقدره وهزمى لخانى ينثنى وهو هائبى
وحكمنى كل الدنان وخانها فلا ثمل إلا تلانى عاقب
وما شرب العشاق قدماً وبعدنا من ألحان إلا بعض سؤر مشاربى
سلكت طريقاً ليس يسلكه سالك وكان حبيبى لى دليلاً مصاحبى
خلوت بمن أهوى بغير مزاحم فياحبذا ما طبت لى من مآرب

ولى همة تعلو على كل همة ومطلب عزمى مهلك كل طالب
أنا فى الهوى سلطان كل متيم لمملكتى فى الأرض حنث ركائبى
لواء لوائى فى الوجود مخيم محقق تملأ الخافقين ذوائبى
نشرت بأعلامى على كل عاشق مشارق أرض الله ثم المغارب
وأهل الهوى جندى وحكمي عليهم وفى سائر الآفاق سارت مواكبى
وجالت خيولى الأرض شرقاً ومغرباً وفى طولها والعرض دارت نجائبى
أنا قطب أقطاب الوجود حقيقة وجملتهم لى يتبعون مذاهبى
إذا اجتمعوا فى جامع العشق جئتهم خطيباً أعظهم من بليغ عجائبى
وكلهم بى يقتــدون حقيقة بعصرى وبعدي هكذا كل طالب
قعود جلوس ينظروا تحت منبري ويجروا دموعاً بالدماء سواكب
وأقدامهم من بعد ذلك راعياً إماماً لهم بى يقتدى كل راغب
وقد أفلت جميع الشموس وشمسنا ليوم اللقا إشراقها فى كواكب
وبى وله قبل الوجود وكونه ولى قدم قد جال فى جذب جاذبى
وهذا مقامى واتصالى بخالقى وذكرى لحظى من حبيب الحبائب
محمد المرسول للخلق رحمة وجاهد فى كفارهم بالقواضب
إمامى رسول الله جدى وقدوتى وعاهدنى من كفه وهو طالبى
أتانى مراراً قبل عهدى وقال لى أنا جدك افخر بى فخرت بخاطب
ولى خيمة خضراء فى مشرق لها وفى مغرب أطنابها بتراكب
وتنصب فى حشر علينا تظلنا رجالى وأصحابى بها فى مناصب
وما قلت هذا القول فخرا وإنما أتى الإذن حتى تعرفون مراتبى
ودقت لى السادات فى الأرض والهـوى طبولاً لعزى كم لها ألف ضارب
فبلغ سلامى خير من وطئ الثرى وأشرف خلق الله ماش وراكب

انتهت

وقــد زاد فيها بعض الفضلاء المريدين بيتاً للترجيــع والتبــرك فقال :

صلاتى على المختار بدر الكواكب   وآله والأصحاب أهل المناهب

*****

ومن نظم الشيخ المنسوب إليه ﷺ ونفعنا به

رفعت على أعلى الورى أعلامنا   لما بلغنا فى الغرام مرامنا
نحن الملوك على سلاطين الملا   والكائنات ومن بها خدامنا
فبذلنا للحب نلنا عــزة   وعلى الرؤوس تنقلت أقدامــنا
إنا وإن أخر الزمان فإننا   فقنــا الذين تقدموا قدامنا
فبقربنا من قاب قوسين لقد   رشقت قلوب المنكرين سهامنا
فجمالنا ملأ الوجود وحالنا   لا يستطاق ولا يفل حسامنا
ضربت طبول العز فى ساحاتنا   وعلى السما شرفا بدت خيامنا
ولأجلنا وجد الزمان وكونه   والدهر عبد الزمان غلامنا
ولنا الولاية من " ألست بربكم "   وإمامنا المهدى فهو ختامنا
ثم الصلاة على النبى محمد   والآل والأصحاب ثم صحابنا

*****

ومن نظمه أيضاً
ﷺ ونفعنا به آمين

سألتك يا جبار يا سامع الندا ... ويا حاكم أحكم فى الذى قد تجبرا
فأنت الذى ترجى لدفع مضرتى ... وأنت مغيث من دعاك من الورى
سألتك بالاسم العظيم فمن بغى ... على امتحنه بالعماء فلا يرى
أجب دعوة المظلوم يشكو مصيبة ... كسير الجناح لا نصير له يرى
فإن لم يقع غيث فما وجه حيلتى ... وأين الفرار من عدو تجورا
فيا عالم النجوى ويا سامع الندا ... ويا مستغاث أهلكن من تجبرا
فكل مصاب يستغاث بمثله ... وإنى لا أشكو لغيرك ما جرى
فكيف يخيب من بقلبه قد دعا ... وأمرك فى القرآن يتلى على الورى
فأنت المغيث والنصير على العدا ... وقولك حق لا خلال ولا امترا
بطه مع الفرقان والبقر قبلها ... وسبح مع الانفال مع سورة برا
ويس مح حم كل مع النسا ... وبالأنبياء المرسلين ومن قرا

انتهى ما وجد من هاته القصيدة وكنت أعرف أنها أطول من هذا القدر الذى أثبته هنا .

*****

ومــن نظمــه أيضــاً
رضي الله عنه ونفعنا بعلومه

أتطلب أن تكون كثير مالٍ ... ويسمك منك دوماً فى كل قال
ومن كل النساء ترى وداداً ... تسري به ومن كل الرجال
ويأتيك الغنى وترى سعيداً ... مهاباً مكرماً من كل وال
وتكفى كل حادثة وضر ... وتبقى آمناً فى كل حال
فقل يا حى يا قيوم ألفا ... مكملة على عدد الليالى
بليل أو نهار فإن فيما ... ذكرته يرخص كل غال
وفى ذكراك يا وهاب سر ... ينبيك ما تريد من السوال
وتكبر عند كل الناس طرا ... وتقبض باليمين وبالشمال
فلازم ما ذكرت ولا تدعه ... ففيه تبلغ الرتب العوالى

*****

وله أيضاً ﷺ ونفعنا به
وبمـا جاء آمين

أنا القرآن والسبع المثانى	وروح الروح لا روح الأوانى
فؤادى عند محبوبى مقيم	يناجـيه وعندكـم لسـانى
فلا تنظر بطرفك نحو جسمى	وعد عن التناغم بالمغانى
وغص فى بحر ذات الذات تنظر	معانى ما تبـدت للعيان
وأسرارى قراءة مبهمات	مسترة بأرواح المعانى
فمن فهم الإشارة فليصنها	وإلا سوف يقتل بالسنان
كحلاج المحبة إذ تبدت	له شمس الحقيقة بالتدانى
وقال أنا هو الحق الذى لا	بغـير ذاته مر الزمـان

*****

ولــه أيضــاً
رضي الله عنه ونفعنا بـــه آمين

ولما صفا قلبى وطابت سريرتى ... ومنى دنا صحوى بفتح البصيرة
شهدت بأن الله مولى الولاية ... وقد منَّ بالتصريف فى كل حالة
سقانى ربى من كؤوس شرابه ... فأسكرنى حقاً فهمت بسكرتى
وملكنى كل الجنان وما حوى ... وكل ملوك العالمين رعيتى
وفى حالنا فادخل ترى الكأس دائراً ... وما شرب العشاق إلا بقينى
رفعت على من يدعى الحب فى الهوى ... فقربنى المولى وفزت بنظرتى
وجالت خيولى فى الأراضى جميعها ... وزفت لى الكاسات من كل وجهة
ودقت لى الرايات فى الأرض والسما ... وأهل السما والأرض تعلم سطوتى
وشاوش ملكى سار شرقاً ومغرباً ... وصرت لأهل الكرب غوثاً ورحمة
فمن كان مثلى يدعى فيكم الهوى ... يطاولنى إن كان يقوى لسطوتى
أنا كنت فى العليا بنور محمد ... وفى قاب قوسين اجتماع الأحبة
شربت بكاسات الغرام سلافة ... بها انتعشت روحى وجسمى ومهجتى
وصرت أنا الساقى لمن كان حاضراً ... أدير عليهم كرة بعد كرة
وقمت بباب الله وحدى موحداً ... ونوديت يا جيلانى ادخل لحضرتى
ونوديت يا جيلانى ادخل ولا تخف ... عطيت اللوا من قبل أهل الحقيقة
ذراعى من فوق السموات كلها ... ومن تحت بطن الحوت مديت راحتى
وأعلم نبت الأرض كم من نباته ... وأعلم رمل الأرض كم هو رملة
وأعلم علم الله أحصى حروفه ... وأعلم موج البحر كم هو موجة
وما قلت هذا القول فخر وإنما ... أتى الإذن حتى تعرفون حقيقتى
وما قلت حتى قيل لى قل ولا تخف ... فأنت ولى فى مقام الولاية

أنا كنت مع نوح بأعلى سفينة بحارا وطوفاناً على كف قدرتي
وكنت وإبراهيم ملقى بناره وما برد النيران إلا بدعوتي
وكنت مع إسمعيل في الذبح شاهداً وليس نزول الكبش إلا بفتيتي
وكنت مع يعقوب في غشو عينه وما برئت عيناه إلا بتفلتي
وكنت وموسى في مناجاة ربه وموسى عصاه من عصاى استمدت
وكنت مع عيسى وفي المهد ناطقاً وأعطيت داودا حلاوة نغمتي
أنا كنت مع أيوب في زمن البلا وما برئت بلواه إلا بدعوتي
ولي نشأة في الحب من قبل آدم وسري سرى في الكون من قبل نشأتي
أنا الذاكر المذكور وذكر الذاكر أنا الشاكر المشكور شكر بنعمة
أن العاشق المعشوق في كل مضمر أنا السامع المسموع في كل نغمة
أنا الواحد الفرد الكبير بذاته أنا الواصف الموصوف علم الطريقة
ملكت بلاد الله شرقاً ومغربا وإن شئت أفنيت الأنام بلحظتي
وقالوا فأنت القطب قلت مشاهداً وتال كتاب الله في كل ساعة
وناظر ما في اللوح من كل آية وما قد رأيت من شهود بمقلتي
فمن كان يهوانا يجي لمحلنا ويدخل حمى السادات يلق الغنيمة
فلا عالم إلا بعلمي عامل ولا سالك إلا بفرضي وسنتي
وقالوا أيا هذا تركت صلاتك ولم يعلموا أني أصلي بمكة
ولا مسجد إلا ولي فيه ركعة ولا منبر لا ولي فيه خطبة
ولولا رسول الله بالعهد سابق لأغلقت أبواب الجحيم بعظمتي
مريدي لك البشرى تكون على الوفا إذا كنت في ضيق فتنجو بهمتي
مريدي تمسك بي وكن بي واثقاً فأحميك في الدنيا ويوم القيامة
أنا لمريدي حافظ ما يخافه وأحرسه من كل شر بلية
وكن يا مريدي حافظاً لعهودنا أكن حاضر الميزان يوم القيامة

وإن شحت الميزان والله أنالها   فعنى عنايات بلطف الحقيقة
حوائجكم مقضية غير أننى   أريدكم تمشوا الطريق الحميدة
وأوصيكم كسر النفوس فإنها   مراتب عز عند أهل الطريقة
ومن حدثته نفسه بتكبرٍ   تجده صغيراً فى عيون الأقلة
ومن كان فى حالاته متواضعاً   مع الله عزته جميع البرية
فجدى رسول الله طــه محمد   أنا عبد قادر وشيخ الطريقة

واعلم بأن البيت الأول منها لم يعرف فى أول القصيدة عند أهل الطريقة رضوان الله عليهم أجمعين ونفعنا ببركاتهم آمين .

*****

ومن نظمه ﷺ وأرضاه وهدانا بهداه

نظرت بعين الفكر فى حان حضرتى ... حبيباً تجلى للقلوب فجنتى
شقانى بكأس من مدامة حبه ... فكان من الساقى خمارى وسكرتى
ينادمنى فى كل يوم وليلة ... ولا زال يرعانى بعين العناية
ضريحى بيت الله من جاء زاره ... بهرولة يحظى بعز ورفعة
وأمرى بأمر الله إن قلت كن يكن ... وكل بأمر الله حكمى وقدرتى
فأصبحت بالوادى المقدس جالساً ... على طور سينا قد سموت بخلوتى
وطافت بى الأكوان من كل جانب ... فصرت لها أهلاً بتحقيق نسبتى
ولى علم فى ذروة المجد قائم ... رفيع البنا تأوى له كل أمة
فلا علم إلا من بحار وردتهــا ... ولا نقل من صحيح روايتى
على الدرة البيضاء كان اجتماعنا ... وفى قاب قوسين اجتماع الأحبة
وعاينت إسرافيل واللوح والرضا ... وشاهدت أنوار الجلال بنظرتى
وشاهدت ما فوق السموات كلها ... كذ العرش والكرسى فى طى قبضتى
وكل بلاد الله ، ملكى حقيقة ... وأقطابها من تحت حكمى وطاعتى
وجودى سرى فى سر سر الحقيقة ... ومرتبتى فاقت كل رتبة
كرى جلا الأبصار بعد غشائها ... وأحيا فؤاد الصب بعد القطيعة
حفظت جميع العلم صرت طرازه ... على خلعة التشريف فى حسن خلوتى
قطعت جميع الحجب للحب صاعدا ... ولا زلت أرقى سائرا بمحبتى
تجلى لى الساقى وقال إلى قم ... فهذا شراب الحب فى حان حضرتى
تقدم ولا تخش كشفنا حجابنا ... تجلي بحاني والشراب ورؤيتى
شطحت بها شرقاً وغرباً وقبلة ... وبراً وبحراً من نفائس خمرتى

فــلاحت لى الأسرار من كل جانب وبانت لى الأنوار من كل وجهة
وشاهدت معنى لو بدا كشف سره لصم الجبال الراسيات لدكت
ومطلع شمس الأفق ثم مغيبها وأقطع أرض الله فى حال خطوتى
قلبها فى راحتى ككورة أطوف بها جمعاً كأسرع لمحة
أنا قطب أقطاب الوجود حقيقة على سائر الأقطاب قولى وحرمتى
توسل بنا فى كل هول وشدة أغيثك فى الأشياء طرا بهمتى
أنا لمريدى حافظ ما يخافه وأحرسه من كل شر وفتنة
مريدى إذا ما كان شرقاً ومغرباً أغثه إذا ما سار فى أى بلدة
فيا منشدا للنظم قله ولا تخف فإنك محروس بعين العنا
وكن قادرى الوقت لله مخلصا تعش سعيدا صادقا بمحبتى
ونثنى صلاة الله ثم سلامه على خير خلق الله جدى ونسبتى

*****

﴿ هذه القصيــدة المبــاركة ﴾

المنســوبة : القطب الربانى والغــوث الصمدانى سيدنا الســيد عبد القادر الجيلانى قدس سره ، مشهور اسمها عند العوام بالقصيدة الغوثية وعند الخواص بالخمرية أنشدها حضرة الشيخ فــى حالــة الجذبة والاستغراق ، وخواصها كثيرة .

منها أن من داوم على قراءتها كل يوم إحدى عشرة مرة يصــير مقبولاً عند الله تعالى ومحبوباً عند الخلق .

ومنها أن من جعلها من أوراده تزيد فيــه قوة الحفظ فلا ينســى ما قرأ أو سمع .

ومنها أن من قرأ يزيد فهمه بالعربية وإن لم يكن من أهلها .

ومنها أن من قرأها أربعين يوماً لأى حاجة كانت فلا يتم الأربعون إلا وقد قضيت حاجته بإذن الله تعالى .

ومنها حملها معه وقرأها كل يوم ثلاث مرات أو سمعها من غيره ونظر إليها كل صباح من حسن الاعتقاد يرى إن شاء الله تعالى فى منامه صاحبها أعنى غوث الثقلين ويتبرك بزيارته وكلامه ، ويكون معظماً عند الأمراء والملوك .

ومنها أن بركاتها عامة فبأى نية يقرؤها التالى يحصل مراده مع الاعتقاد الصحيح ، وكلما أراد أن يقرأها بهدى أولاً فاتحة الكتاب لصاحبها قطب الغوث ثم يصلى على النبى ﷺ ثلاث مرات بهذه الصيغة الجليلة وهى : (اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد معدن الجود والكرم ومنبع العلم والحلم والحكم ، وبارك وسلم) .

والقصيدة المذكورة هى هذه

سقانى الحب كاسات الوصال	فقلت لخمرتى نحوى تعالى
سعت ومشت لنحوى فى كؤوس	فهمت بسكرتى بين الموالى
وقلت لسائر الأقطاب لموا	بحانى وادخلوا أنتم رجالى
وهيموا واشربوا أنتم جنودى	فساقى القوم بالوافى ملا لى
شربتم فضلتى من بعد سكرى	ولا نلتم علوى واتصالى
مقامكم العلا جمعاً ولكن	مقامى فوقكم مازال عالى
أنا فى حضرة التقريب وحدى	يصرفنى وحسبى ذو الجلال
أنا البازى أشهب كل شيخ	ومن ذا فى الرجال أعطى مثالى

درست العلم حتى صرت قطباً ونلت السعد من مولى الموالى
كسانى خلعة بطراز عز وتوجنى بتيجان الكمال
وأطلعنى على سر قديم وقلدنى وأعطانى سؤالى
طبول فى السما والأرض دقت وشاويش السعادة قد بدا لى
أنا الحستى والمخدع مقامى وأقدامى على عنق الرجال
وولانى على الأقطاب جمعا فحكمى نافذ فى كل حال
نظرت إلى بلاد الله جمعا كخردلة على حكم اتصال
فلو ألقيت سرى فوق نار لخمدت وانطفت من سر حالى
ولو ألقيت سرى فوق ميت لقام بقدرة المولى مشالى
ولو ألقيت سرى فى جبال لدكت واختفت بين الرمال
ولو ألقيت سرى فى بحار لصار الكل غوراً فى الزوال
وما منها شهور أو دهور تمر وتنقضى إلا أتى لى
وتخبرنى بما يأتى وهو يجرى وتعلمنى فأقصر عن جدالى
بلاد الله ملكى تحت حكمى ووقتى قبل قلبى قد صفا لى
مريدى لا تخف واش فإنى عزوم قاتل عند القتال
مريدى لا تخف الله ربى عطانى رفعة نلت المعالى
مريدى هم وطب واشطح وغنى وافعل ما تشا فالإسم عالى
وكل ولى له قدم وإنى على قدم النبى بدر الكمال
أنا الجبلى محيى الدين إسمى وأعلامى على رأس الجبال
وعبد القادر المشهور إسمى وجدى صاحب العين الكمال

*****

ومن النظم المنسوب إليه رضي الله عنه ونفعنا به هذه القصيدة

روى أنها مجربة لقضاء الحوائج وتفريج الكروب :

يـــا من تحـــل بذكــره	عقـــد النوائب والشدائد
يا من إليـــه المشتـــكى	وإليـــه أمر الخلق عائد
يا حـــى يا قيــــوم يا	صمـــد تنزه عن مضادد
أنـــت العليـــم بما بليـــ	ـت بـــه وأنت عليه شاهد
أنـــت المـــنزه يا بديـــ	ـع الخلق عن ولد ووالد
أنت الرقيـــب على العبا	د وأنت فى الملكوت واحد
أنت المعـــز لمن أطا	عـــك والمذل لكل جاحد
إنى دعـــوتك والهمـــو	م جيـــوشها قلبـــى تطارد
فـــرج بحـــولك كربتـــى	يـــا من لـــه حسن العوائـــد
أنت المُيســـر المُســـبـــ	ـب والمـــسهل والمساعد
يســـر لنـــا فرجـــاً قريبـــا	يـــا إلهـــى لا تباعـــد
فخفـــى لطفـــك يستعـــا	ن بـــه على الزمـــن المعاند
كن راحمى فلقـــد أيســـ	ـت مـــن الأقارب والأباعد
وعلى العدا كن ناصرى	لا تشـــمـــتن بـــى الحواســـد
ثـــم الصلاة على النبـــى	وآلـــــه الغـــر الأماجـــد
مـــا جن ليل أو سجـــى	أو خـــر للرحمن ساجـــد

*****

ومن نظمه أيضاً رضي الله عنه ونفعنا به آمين

طف بحانى سبعا ولذ بذمامى ... وتجرد لزورتى كل عام
أنا سر الأسرار من سر سرى ... كعبتى راحتى وبسطى مدامى
أنا نشر العلوم والدرس شغلى ... أنا شيخ الورى وكل إمام
أنا فى مجلسى نرى العرش حقا ... وجميع الأملاك فيه قيام
قالت الأوليا جميعاً بعزم ... أنت قطب على جميع الأنام
قلت كفوا ثم اسمعوا نص قولى ... إنما القطب خادمى وغلامى
كل قطب يطوف بالبيت سبعا ... وأنا البيت طائف بخيامى
كشف الحجب والستور لعيني ... ودعانى لحضرة ومقامى
فاخترقت الستور جمعاً لحبى ... عند عرش الإله كان مقامى
وكسانى بتاج تشريف عز ... وطراز وخلعــة باختتـــام
فرس العز تحت سرج جوادى ... ووكابى عال وغمدت محامى
وإذا ما جذبت قوس مرامى ... كان نار الجحيم منها سهامى
سائر الأرض كلها تحت حكمى ... وهى فى قبضتى كفرخ الحمام
مطلع الشمس ثم أقصى الغروب ... خطوتى وأقلهـــا باهتمـــام
أمر يدى لك الهنا بدوام عيــ ... ـــش عز ورفعة واحترام
ومريدى إذا دعانى بشرق ... أو بغرب أو نازل بحر طام
فأغثه لو كان فوق هواء ... أنا سيف القضا لكل خصام
أنا فى الحشر شافع لمريدى ... عند ربى فلا يرد كلامى
أنا شيـــخ وصـــالح وولى ... أنا قطب وقدوة للأنـــام
أنا عبد لقادر طاب وقتى ... جدى المصطفى شـــفيع الأنـــام
فعليه الصلاة فى كل وقت ... وعلى آله بطول الدوام

ومن نظمـــه أيضـــاً رضي الله عنه

ما فى الصبابة منهل مستعذب	إلا ولى فيه الألذ الأطيب
أوفا الوصال مكانة مخصوصة	إلا ومنزلتى أعز وأقرب
وهبت لى الأيام رونق صفوها	فحلت مناهلها وطاب المشرب
وغدوت مخطوبا لكل كريمة	لا يهتدى فيها اللبيب فيخطب
أنا من رجال لا يخاف جليسهم	ريب الزمان ولا يرى ما يرهب
قوم لهم فى كل مجد رتبة	علوية وبكل جيش موكب
أنا بلبل الأفراح أملا دوحها	طرباً وفى العلياء باز أشهب
أضحت جيوش الحب تحت مشيئتى	طوعاً ومهما رمته لا يعزب
أصبحت لا أملا ولا أمنية	أرجو ولا موعودة أترقب
مازلت أرتع فى ميادين الرضا	حتى وهبت مكانة لا توهب
أضحى الزمان كحلة مرقومة	تزهو ونحن لها الطراز المذهب
أفلت شموس الأولين وشمسنا	أبدا على فلك العلى لا تغرب

*****

ومن كـــلام بعض محبيـــه فيه رضي الله عنه

بك الشهور تهنى والمواقيت	يا من بألفاظه تعلو اليواقيت
الباز أنت فإن تفخر فلا عجب	وسائر الناس فى عينى فواخيت
أشم من قدميك الصدق مجتهدا	لأنه قدم فى نعلـــه الصيت

*****

ومن النظم المنسوب إليه ﷺ ونفعنا به

إذا ضاق حالى اشتكيت لخالقى قدير على تيسير كل عسير
فما بين إطباق الجفون وحلها إنجبار كسير وانفكاك أسير
أيظلمنى دهرى وأنت وسيلتى وأشكو من الأسوا وأنت مجيرى
وأظما وأنت العذب فى كل مورد وأظلم فى الدنيا وأنت نصيرى
وعار على حامى الحمى وهو قادر إذا ضاع فى البيدا عقال بعير
ولا حامى المملوك إلا أميرة فها أنا مملوك وأنت أميرى

*****

ومن النظم المنسوب إليه ﷺ ونفعنا به

سقانى حبيبى من شراب ذوى المجد فأسكرنى حقاً فغبت على وجدى
وأجلسنى فى قاب قوسين سيدى على منبر التخصيص فى حضرة المجد
حضرت مع الأقطاب فى حضرة اللقا فغبت به عنهم وشاهدته وحدى
فما شرب العشاق إلا بقيتى وفضلة كاسات بها شربوا بعدى
ولو شربوا ما قد شربت وعاينوا من الحضرة العليا شراب ذوى الود
لأمسوا سكارى قبل أن يقربوا لها وأمسوا حيارى من مصادمة الورد
أنا البدر فى الدنيا وغيرى كواكب وكل فتى يهوى فذالكم عبدى
وبحرى محيط بالبحار بأسرها وعلمى حدى ما كان قبلى وما بعدى
سرى له الأسرار نزجر فى الدجا كزجر سحاب الأفق من ملك الرعد
فإن شئت أن تحظى بعز وقربة فداوم على حبى وحافظ على عهدى

*****

ومن النظم المنسوب إليه رضي الله عنه ونفعنا به

رفع الحجاب عن بدور الكمال   مرحبا مرحبا بأهل الجمال
ملكو بحبهم ورضوا بى   عبد رق فسدت بين الموالى
فرحونى بصرف راح هواهم   فتربيت فى حجور الدلال
عاملونى بلطفهم فى غرامى   فحلا فى بصائر الناس حالى
إن أرادوا الصدود يفنى وجودى   رحمونى وأنعموا بالوصال
وإن ضللت عنهم هدونى   هكذا هكذا تكون الموالى
سادتى سادتى بحقى عليكم   إننى عندكم عزيز وغالى
ما بقالى حبيب قلب سواكم   مات وهمى بكم وبان خيالى
بحياتى عليكم يا سقاتى   روقوا الكاس إن حبى ملا لى
وأديروا الكؤوس بين الندامى   فجميع الأنام سكرى بحالى

*****

ومن النظم المنسوب إليه رضى الله عنه ونفعنا به

أيا نفحة الألطاف من لطف ربنا ويا سرعة اليسر المشتت للعسر
ويا رحمة المولى السماوية التى تهب هبوب الريح من حيث لا أدرى
إغاثة ملهوف أردت بحاله نوائب لا تخفاك يا عالم السر
ولما دهانى الحال واشتد خطبه شكرت إلى رحماك يا رب من ضر
فمن ذا الذى أرجو سواك لفاقتى وضعفى تداركنى بلطفك فى الأمر
فعجل وسارع يا سريع بحل ما تضايق بى يا واسع الفضل والبر
فأنت القريب المستجيب لمن دعا غنى كريم دائم العفو واليسر

*****

﴿ تم بحمد الله وتوفيقه ﴾

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣٦	المقالة العشرون فى قوله ﷺ " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك "
٣٨	المقالة الحادية والعشرون " فى مكالمة إبليس عليه اللعنة "
٣٨	المقالة الثانية والعشرون " فى ابتلاء المؤمن على قدر إيمانه "
٤٠	المقالة الثالثة والعشرون " فى الرضا بما قسم الله تعالى "
٤١	المقالة الرابعة والعشرون " فى الحث على ملازمة باب الله تعالى "
٤٣	المقالة الخامسة والعشرون " فى شجرة الإيمان "
٤٥	المقالة السادسة والعشرون " فى النهى عن كشف البرقع عن الوجه "
٤٨	المقالة السابعة والعشرون " فى أن الخير والشر ثمرتان "
٥١	المقالة الثامنة والعشرون " فى تفصيل أحوال المريد "
٥٣	المقالة التاسعة والعشرون " فى قوله ﷺ : كاد الفقر أن يكون كفراً "
٥٤	المقالة الثلاثون " فى النهى عن قول الرجل أى شئ أعمل وما الحيلة "
٥٥	المقالة الحادية والثلاثون " فى البغض فى الله "
٥٦	المقالة الثانية والثلاثون " فى عدم المشاركة فى محبة الحق "
٥٧	المقالة الثالثة والثلاثون " فى تقسيم الرجال إلى أربعة أقسام "
٦٠	المقالة الرابعة والثلاثون " فى النهى عن السخط على الله تعالى "
٦٣	المقالة الخامسة والثلاثون " فى الورع "
٦٤	المقالة السادسة والثلاثون " فى بيان الدنيا والآخرة ، وما ينبغى أن يعمل فيهما "
٦٧	المقالة السابعة والثلاثون " فى ذم الحسد والأمر بتركه "
٦٩	المقالة الثامنة والثلاثون " فى الصدق والنصيحة "
٧٠	المقالة التاسعة والثلاثون " فى تفسير الشقاق والوفاق والنفاق "

الصفحة	الموضوع

الصفحة | الموضوع

الصفحة	الموضوع